الدكتور
عبد العزيز عبد المعطي عرفة

من بلاغة النظم العربي

دراسة تحليلية لمسائل علم البيان

الجزء الثالث

الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد . . .

فيسعدني أن أقدم — لأبناء لغة القرآن الكريم — الجزء الثالث من كتاب « من بلاغة النظم العربي » كما سعدت — من قبل — بتقديم الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب .

وقد جاء الجزء الأول في تمهيد ، وأربعة فصول من الباب الأول الخاص بعلم المعاني .

أما التمهيد فقد تحدث عن تاريخ النظم العربي ومفهومه . وعن مقاييس الفصاحة والبلاغة، وأما الفصول فقد تحدث الفصل الأول منها عن أحوال الإسناد الخبري ، والثاني عن أحوال المسند إليه والثالث عن أحوال المسند ، والرابع عن أحوال متعلقات الفعل .

واشتمل الجزء الثاني على بقية فصول الباب الأول وهي : الفصل الخامس الخاص بأسلوب القصر، والفصل السادس الذي يتحدث عن أسلوب الإنشاء ، والفصل السابع عن أحوال الفصل والوصل ، والفصل الثامن عن ظاهرة الإيجاز والإطناب والمساواة .

وهذا (الجزء الثالث) الذي بين يديك يتحدث — بمشيئة الله — عن الباب الثاني الخاص بعلم البيان ، ويشتمل على ثلاثة فصول : الفصل

الأول عن (التشبيه) ، والفصل الثانى عن (المجاز) ، والفصل الثالث عن الكناية .

أملنا أن يتكون الذوق الأدبى السليم ، ويعود الطابع اللغوى العربى الأصيل ، فيتمكن أبناؤنا من تذوق الكلمة الحلوة والعبارة الجميلة ، والأدب الحى ، الذى يهز القلوب ، ويؤثر فى النفوس ، ويحرك العواطف النبيلة ، ويحفز على العمل الصالح ، فترقى الأمة ، ويسعد المجتمع .

والله جل وعلا — يمنحنا الجزاء الأوفى بحسن نيتنا ، وشرف مقصدنا ، وهو — وحده — الهادى إلى سواء السبيل .

د/ عبد العزيز عبد المعطى عرفه

مدينة نصر : ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ

٧ من شهر يناير سنة ١٩٨٢ م

الباب الثاني

علم البيان

ويشتمل على : تمهيد وثلاثة فصول

التمهيد : في معنى علم البيان

الفصل الأول : في التشبيه

الفصل الثاني : في المجاز

الفصل الثالث : في الكناية

بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن ، علم القرآن ،
خلق الإنسان ، علمه البيان
« قرآن الكريم »

تمهيد

معنى علم البيان

البيان بالمعنى العام : هو التعبير عما يجول فى نفس الإنسان من المعانى، وهو فضيلة امتن الله بها على الإنسان؛ ليميزه بها عن سائر المخلوقات .

والتفاهم بين البشر من ضرورات الحياة ، وأسعد حالات الإنسان أن يرى المتلقى عنه قد فهم ما أراده .

والبيان يكون بالكلمة أو بالخط أو بالإشارة أو بالعقد أو بالحال التى تسمى نصبة(١) .

والبيان الذى نرى إليه هو : البيان بالكلمة الحلوة المثمرة التى ترسم صورة جميلة معبرة أتم تعبير وأدقه عن إثبات المعنى الذى يريد المتكلم أن يؤكده ، ويقرره فى نفس السامع ، فيزداد بهذا البيان ثقة واطمئنانا .

فمثلا إذا أراد الأديب أن يصف إنسانا بالكرم ، فله أن يسلك طريق الحقيقة فيقول : « فلان كريم » وله أن يتأنق فى أسلوبه فيقول : « فلان جبان الكلب أو مهزول الفصيل أو كثير الرماد » سالكا طريق الكناية ، وهو فى هذا لا يزيد فى معنى الكرم شيئا ، ولكنه زاد فى إثباته وتقريره ، وذلك بالصورة التى رسمها لإثبات معنى الكرم من أن كلبه جبان لا ينبح

---

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، ويقال له حساب اليد ، والنصبة : هى الحال الدالة ، التى تقوم مقام تلك الأصناف .

على أحد لكثرة مشاهدته للزائرين ، وهنا يعمل العقل ويصل إلى أن فلانا مثلا يتصف بالكرم الكثير ، وكذلك المزية فى قول الأديب « فلان كثير الرماد » أن هذه العبارة لم تزد فى معنى الكرم شيئا ولكنها أثبتت الكرم من وجه هو أبلغ إذ جعل الأديب صفة الكرم لا تصل إلى العقل إلا بعد عمل فكر ، إرسم صورة الرماد التى تدل على كثرة الطبخ الذى يدل على كثرة الضيوف وأخيراً تثبت صفة الكرم .

يقول الشيخ عبد القاهر فى هذا الصدد : « وكذلك المزية التى تراها لقولك : « رأيت أسداً » على قولك : « رأيت رجلا لا يميز عن الأسد فى شجاعته » أنك قد أفدت بالأول زيادة فى مساواته الأسد ، بل أنك أفدت تأكيدا وتشديدا وقوة فى إثباتك له هذه المساواة ، وفى تقريرك لها »(١) .

وصورة إثبات المعنى هى التى يهتم ببيان أسبابها وعللها البلاغيون ، ولها طرق لانهاية لها وتختلف هذه الطرق تبعا لاختيار الألفاظ وخصائص التراكيب .

فأنت إذا تأملت قوله تعالى : « فكبكبوا فيها هم والغاوون »(٢) تجد أن الآية الكريمة تتحدث عن آلهة الشرك وأتباعهم من المشركين .

وتصف كيفية تدهورهم على وجوههم فى النار يوم القيامة ، وكلمة « كبكب » هى عماد إثبات هذا الوصف ، وأصلها من « الكب » ، وهو اسقاط الشىء على وجهه ، وقد عدلت الآية من الفعل الثلاثى « كب » إلى هذه الصيغة الرباعية ، مع أنهما من أصل واحد ، ويدوران حول معنى واحد ،

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٤٨ تحقيق المراغى .
(٢) سورة الشعراء الآية : ٩٤

وذلك لأن تكرار المقطع فيها يفيد تكرار الفعل ، ويعطى صورة هؤلاء الكافرين حين يكبون فى النار كبا متتابعا يشبه تتابع النطق بالمقطعين المتتابعين ، سواء أكان هذا الكب يتتابع لكل فرد مرة إثر أخرى ، أم كان القصد هو إعطاء صورة إلقائهم فى النار متتابعين طائفة إثر طائفة :

وأحيانا تأتى صورة إثبات المعنى من تحويل الكلمة من وزن إلى وزن قصداً إلى ما يحمله هذا الوزن من صفات صوتية يتطلبها المعنى ، ومن ذلك كلمة « إثاقلتم » فى قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله إثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل)[1] .

فإن الله عز وجل فى هذه الآية — يقرع المتقاعسين عن الجهاد والغزو حينما دعاهم النبى إلى ذلك ، وتقريعهم يقتضى تبشيع ما يلامون عليه وتفظيع شأنه ، ولو كان ما صدر عنهم هو مجرد التلكؤ وبطء الاستجابة حين طلبوا للقتال لكفى فى تأنيبهم عليه أن يقال « تثاقلتم » ولكن هذا التباطؤ كان مصحوباً بشىء من الكره والنفور ، يكاد التباطؤ معه يكون امتناعا ومخالفة للأمر ؛ ولذلك حولت الصيغة من «تثاقلتم» إلى « اثّاقلتم » حيث أبدلت تاء التفاعل ثاء ، ثم سكنت وادغمت فى فاء الفعل ، وجلبت همزة الوصل ليسهل النطق بالساكن ، أى : أبدلت منها بعض الحروف ، ودخلها الإدغام ، وغير نظام الحركات والسكنات وهجر وزن « تفاعلتم » وهو سلس مألوف ، وفضل عليه وزن «افاعلتم» وفيه خشونة وثقل ، والقصد من ذلك أن يصور بخشونته وغلظ لفظه مقدار ما فى عملهم من خطأ وبعد عن الصواب .

---

(١) سورة التوبة الآية : ٣٨

ونتأمل مرة أخرى فتجد صورة اثبات المعنى قد رسمت بطريق إسناد الفعل إلى غير من هو له .

يقول أبو فراس الحمدانى :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البـــدر

والجد : تعبير عن الأمر الذى ينزل بالقوم فيعدون له أقصى ما يستطيعون ، وترى الشاعر أراد أن يعبر عن هذا الأمر ليثبته ويقرره فى نفس السامع فاخترع له صورة سلك لها طريقا طريفا ، وذلك بإسناده الفعل : « جد » إلى « جدهم » والجد ليس هو الفاعل الحقيقى ، وإنما الفاعل الحقيقى هو القوم ، والأصل : « جد القوم جدهم » فتجوز فى الإسناد بحذف الفاعل الحقيقى « القوم » وإسناد الفعل « جد » إلى مصدره « جدهم » ؛ لتصوير أن هذا الجد قد زاد عن « القوم » حتى شمل « الجد » نفسه ، مبالغة للأمر الذى سينزل بالقوم وتجسيما له وفى هذا تعجيب وتخييل تحسه النفس ، وتهش له ، ويصل المعنى إليها وصول المأنوس به .

وحينما نعيد على أسماعنا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب » هذه الكلمات ترسم صورة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقف شامخا معتزاً بالله لا يهاب ولا يخاف ، ومن ثمّ تتقرر فى أنفس المؤمنين شجاعة النبى ، وقـــد جاءت هذه الصورة التى أثبتت هذا المعنى عن طريق تعريف المسند إليه فى العبارة بضمير المتكلم « أنا » .

وإذا تلوت قوله تعالى : (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند

ربهم(١)) ترى أن المسند إليه جاء معرفاً بضمير الخطاب «أنت» وهذا لم يقصد به مخاطب معين هو فلان مثلا ، وإنما المراد أن حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء ، بل كل من أمكن منه الرؤية يتناوله الخطاب، وفي هذا تصوير لحال المجرمين يوم القيامة ، وأنها مكشوفة لكل الناس لا تخفى على أحد منهم ، وجاءت صورة إثبات هذا المعنى عن طريق تعريف المسند إليه بضمير المخاطب « أنت » كما ترى .

ونسمع قول أمامة الخثعمية تخاطب ابن الدمينة الشاعر :

وأنت الذى أخلفتنى ماوعدتنى
وأشمت بى من كان فيك يلوم

فالشاعرة تلوم نفسها على سماعها لوعود هذا الرجل ، وتجسم مشكلتها في داخل نفسها ، فتصوغها شعراً يقطر أسى ولوعة ، وتتخيل لو تتحقق أن هذا الرجل موجود أمامها وحاضر مجلسها فتوجه إليه الخطاب .

وهذا يحدث عند من يحب أو يكره ، تراه يتخيل أن مطلوبه مجسم أمامه ، فيخاطبه خطاب الحاضر، وفي ذلك إفراغ لنفس الأديب أو المتكلم وتهدئة لعواطفه الثائرة، وتصوير لإثبات المعنى .

وجاءت صورة إثبات المعنى عن طريق تعريف المسند إليه بضمير الخطاب .

ونقرأ الآية الكريمة : (ولو ترى إذ وقفوا على النار(٢)) فجواب

---

(١) سورة السجدة الآية ١٢
(٢) سورة الأنعام الآية : ٢٧

أو محذوف يقدره العلماء بقولهم (رأيت شيئاً فظيعاً) وهذا لتقريب المعنى فحسب ، ولكن المراد أنه شيء لا تستطيع ريشة فنان أن تصوره ، وهذا من غير شك جاء عن طريق حذف الجواب ، الذى رسم صورة إثبات المعنى فى نفس المتلقى .

وحينما يقول الشاعر :

له حاجب عن كل أمر يشينه
وليس له عن طالب العرف حاجب

فلفظ « حاجب » الأولى قد رسمت حاجباً منيعاً ضخماً قد منع عن الممدوح كل ما يشينه ، ولفظ « حاجب » الثانية قد رسمت حاجباً هشاً لا يمنع الطالبين وذوى الحاجات عن الوصول إلى الممدوح لنيل عطاياه — وهذه الصورة التى قررت المعنى وأثبتته قد جاءت من غير شك عن طريق تنكير لفظ « حاجب » فى الموضعين .

وتقول الآية الكريمة للنبى ﷺ :(إن أنت إلا نذير(١)) تريد إثبات النذارة له وفى نفس الوقت رسمت صورة حرصه وحزنه على عدم إيمان قومه وكأنه كان يعتقد أنه يجمع بين النذارة وتحويل القلوب إلى الإيمان ، وهذه الصورة جاءت عن طريق استعمال أداة القصر « النفى والاستثناء » فى شىء معلوم من شأنه أن يكون معلوماً ، وهى فى الأصل تستعمل فى شىء مجهول من شأنه أن يكون مجهولا .

ويقول كثيرٌ عزة :

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

فهو يبيح لعزة أن تسىء إليه أو تحسن ، فهو فى غاية الرضا بالأمرين ،

---

(١) سورة فاطر الآية : ٢٣

ويطلب منها أن تعاملة بهما ثم تنظر ، هل تتفاوت حاله معها فى الحالين ؟ فهو قد رسم لنفسه صورة إنسان قد أصابه الحب ووصل به إلى نهايته ، والإنسان إذا أفرط فى الحب صار كل فعل يصدر عن حبيبه لايرى فيه إلا جمالا والذى رسم هذه الصورة استعمال فعل الأمر «أسيئى» أو «أحسنى» مكان « أبيح لك » .

وهناك صورة لإثبات المعنى تأتى من طريق التشبيه وذلك حينما تقول: زيد كأنه أسد ، فأنت تريد أن تثبت له معنى الشجاعة ، فصورته بالأسد الذى هو مثل فى الشجاعة فأثبت له المعنى بطريق أبلغ ، وذلك بتصويره بصورة الأسد .

وتأتى صورة إثبات المعنى عن طريق الكناية أو المجاز .

والمراد بالكناية فى علم البيان: أن يريد الأديب إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ، ولكن يجىء إلى معنى هو تاليه وملازم له فى الوجود ، فيومىء إليه ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم: « هو طويل النجاد »(١) يريدون طويل القامة « وكثير رماد القدر » يعنون كثير القرى(٢) . وفى المرأة « نئوم الضحى » والمراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها ، فقد أرادوا فى هذا كله - كما ترى - معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يتبعه فى الوجود . وأن يوجد إذا وجد، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد : وإذا كثر القرى كثر رماد القدر : وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها تبع ذلك أن تنام إلى الضحى ، فإثبات الصفة بإثبات لازمها وسببها فى الوجود آكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجىء إليها فتثبتها بنفسها .

---

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) القرى : الكرم .

وأما المجاز بالاستعارة: فإنك إذا قلت: رأيت أسداً، كنت قد لطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده. وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة. وكالمستحيل أو الممتنع أن يخلو منها.

وإذا صرحت بالتشبيه فقلت: رأيت رجلا كالأسد. كنت قد أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين ألا يكون، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء(١). وكل ذلك أتى من طريق جعلك الرجل الشجاع أسداً وتصويره بصورته وتخييلك للنفس أنه نفس الأسد فأثبت بهذه الصورة — الشجاعة للرجل من طريق هو أبلغ وفيه تحريك للفكر وإشباع للنفس.

ولما كان البيان الذي نحن بصدد دراسته له خطره في النفس جعله الشيخ عبد القاهر الجرجاني من أعظم العلوم الأدبية قدراً، وأرسخها أصلا، وأبسقها فرعا، وأحلاها جنى، وأعذبها وردا، لولاه لم تر لساناً يحوك الوشى، ويصوغ الحلى، ويلفظ الدر، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر(٢).

ويتفق العلماء على أن تعلم البيان من أمور الدين، لأن الوقوف على أسراره طريق إلى معرفة وجه إعجاز القرآن البلاغي الذي هو دليل على صدق الرسالة وصحة النبوة، كما جعلوا منزلة العلم بالبيان بعد منزلة العلم بتوحيد الله تعالى، إذ المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل وعلا.

---

(١) انظر دلائل الاعجاز ص ٤٤ — ٤٩

(٢) انظر دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني ص ٤، ٥ تصحيح المراغي، الطبعة الأولى ١٣٦٩ — ١٩٥٠م نشر المطبعة العربية.

وترى البلاغيين يدرسون التشبيه والمجاز والكناية تحت اسم البيان ومن هنا سنعرض لرأى اللغويين وعلماء البلاغة قبل دراسة هــذه الموضوعات .

البيان عند اللغويين

تقول أشهر كتب اللغة : إن البيان هو : ما يُبيَّن به الشيء من الدلالة وغيرها .

(وبان الشيء بيانا اتضح ، فهو بَيِّن ، وأبنته أنا أوضحته ، واستبان الشيء ظهر ، وفى المثل : قــد بين الصبح لذى عينين ، أى بين ، وقال ابن ذريح :

وللحب آيات تبــين للفتى   شحوبا وتعرى من يديه الأشاجم

والتبيين : الإيضاح ، والتبيين أيضاً : الوضوح .

والبيان الفصاحة واللسن ، وكلام بين .

والبيان : الإفصاح مع ذكاء .

والبين من الرجال السمح اللسان الفصيح الظريف العالى الكلام .

وفلان أبين من فلان أى أفصح منه ، وأوضح كلاماً ، ورجل بين أى فصيح .

روى ابن عباس عن النبى ﷺ ، أنه قال : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما » قال : البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم ، وذكاء القلب مع اللسن ، وأصله الكشف والظهور ، وقيل : معناه إن الرجل يكون عليه الحق ، وهو أقوم بحجته من خصمه ، فيقلب الحق — ببيانه — إلى نفسه ، لأن معنى السحر قلب الشيء فى عين الإنسان ،

وليس ، بقلب الأعيان ، وقيل : معناه إنه يبلغ من بيان ذى الفصاحة أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله وحبه ، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله وبغضه ، فكأنه سحر السامعين بذلك ، وهو وجه قوله : إن من البيان لسحرا .

وفى الحديث عن أبى أمامة أن النبى ﷺ ، قال : الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ، أما البذاء وهو الفحش فظاهر ، وأما البيان فإنما أراد منه بالذم : التعمق فى النطق ، والتفاصح ، وإظهار التقدم فيه على الناس ، وكأنه نوع من العجب والكبر ، ولذلك قال فى رواية أخرى : البذاء وبعض البيان ؛ لأنه ليس كل البيان مذموما .

وقال الزجاج فى قوله تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان(١)) ، قيل إنه عنى بالإنسان ههنا النبى ، ﷺ ، علمه البيان أى علمه القرآن الذى فيه بيان كل شىء ، وقيل : الإنسان هنا آدم ، عليه السلام ، ويجوز فى اللغة أن يكون الإنسان اسما لجنس الناس جميعاً ، ويكون على هذا علمه البيان جعله مميزا حتى انفصل الإنسان ببيانه وتمييزه من جميع الحيوان(٢) .

---

(١) سورة الرحمن الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ دار المعارف والقاموس المحيط ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ الطبعة الخامسة المكتبة التجارية الكبرى .

البيان فى الاصطلاح :

برع الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ فى البيان العربى وبه سمى كتابه المشهور « البيان والتبيين » .

دافع عنه ضد الشعوبيين الذين كانوا يعادونه ، ويغضون من قيمته ، ويزعمون أن ليس له قيمة بالقياس إلى الآداب الأخرى .

فجعله وحده هو الأدب ، وأن الأمم الأخرى لاحظ لها من الأدب يقول : « وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس ، فأما الهند ، فإنما لهم معان مدونة ، وكتب مخلدة . لا تضاف إلى رجل معروف ، ولا إلى عالم موصوف ، وإنما هى كتب متوارثة ، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة .

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق(٢) نفسه بكي اللسان ، غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه ، وبخصائصه .

وهم يزعمون أن « جالينوس » كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ، ولا بهذا الجنس من البلاغة ، وفى الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد رأى وطول خلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكر ودراسة الكتب ،

---

(١) هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب ، الكنانى ، الليثى المعروف بالجاحظ البصرى العالم المشهور صاحب التصانيف فى كل فن (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٣ ص ١٤٠ تحقيق محي الدين ط الأولى سنة ١٣٦٧ سنة ١٩٤٨م

(٢) يشير إلى أرسطو

وحكاية الثانى علم الأول ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عندهم ... ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التى بأيدى الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذ كان مثل ابن المقفع ، وسهل بن هارون ، وأبى عبيد الله، وعبد الحميد وغيلان يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير»[1] .

وقد وافقه الدكتور المرحوم طه حسين فى العصر الحديث ، إذ رأى أن الأدب العربى أدب له قيمته عاشت عليه كل الأمم الغربية ، وحمل لواء العلم والعقل طوال القرون الوسطى ، وأحيا العقل الأوربى ، حتى جاءت النهضة الثانية التى اتصل فيها الأدب الأوربى بالأدب اليونانى القديم[2] .

ولكنه خالف الجاحظ فجعل الأدب العربى من أرقى الآداب ، وإذا ذكر الأدب القديم فهو الثانى[3] ، وتابعه على ذلك المرحوم الدكتور إبراهيم سلامة[4] . ويرد الجاحظ على من يعيبون البيان ويستدلون بقول الرسول ﷺ : « شعبتان من شعب النفاق : البذاء والبيان . وشعبتان من شعب الإيمان : الحياء والعى » بقوله : « ونحن نعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ، ورسوله ﷺ يحث على العى ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله ﷺ بين البذاء والبيان .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ جـ٣ صـ ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ الطبعة الثانية نشر الخانجى والمثنى تحقيق هارون .

(٢) انظر من حديث الشعر والنثر للمرحوم لطه حسين الطبعة العاشرة صـ ١٩

(٣) المرجع السابق صـ ٢٠

(٤) انظر بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للمرحوم الدكتور إبراهيم سلامة صـ ٦٨ الطبعة الثانية نشر الانجلو .

وإنما وقع النهى على كل شىء جاوز المقدار، ووقع اسم العىّ على كل شىء قصّر عن المقدار، فالعى مذموم والخطل مذموم، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والمغالى(١) ».

على أن الجاحظ يرى أن فى البيان مذهباً لا يرتضيه، وقد ذكر له مثالا قال: «مر غيلان بن خرشة الضبي، مع عبد الله بن عامر، على نهر أم عبدالله، الذى يشق البصرة، فقال عبد الله: ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر! فقال غيلان: أجل والله أيها الأمـــير، يعلم القوم صبيانهم فيه السباحة، ويكون لسقياهم ومسيل مياههم، وتأتيهم فيه ميرتهم. قال: ثم مر غيلان يساير زياداً على ذلك النهر، وقد كان عادى ابن عامر، فقال زياد: ما أضر هـذا النهر، بأهل هذا المصر!! قال غيلان: أجـل والله أيها الأمير، تنز منه، دورهم، وتغرق فيه صبيانهم، ومن أجله يكثر بعوضهم.

يقول الجاحظ: «فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب، فأما نفس حسن البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه. ومن ذم البيان مدح العى، وكفى بهذا خبالا(٢).

ولعـل الجاحظ أول من فتح فى كتابه «البيان والتبيين» بابا «للبيان» وفى صدره تحدث عن المعانى، وذكر أنها قائمة فى صدور الناس، ومتصورة فى أذهانهم وأنها مستورة خفية، وإنما يحييها ذكرهم لها وإخبارهم عنها، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل — يكون إظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الاشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع(٣).

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ جـ١ ص٢٠٢ الطبعة الثانية تحقيق هارون.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ص ٣٩٤، ٣٩٥ جـ ١ الطبعة الثانية تحقيق هارون.

(٣) انظر المرجع السابق جـ١ ص٧٥

وإذا سألنا الجاحظ عن هذه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفى أجابنا «هى البيان الذى سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحث عليه ؛ بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم(١)» .

ثم يعرفه بقوله: «البيان اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأى شىء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هـــو البيان فى ذلك الموضع(٢)» .

ولما كان البيان عنده بهذا المعنى العام جعل الجاحظ «جميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نصبة »(٣) .

ثم يعرف البيان تعريفاً آخر ينقله عن ثمامة. وقد قال لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلى عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة . والذى لابد منه ، أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة بريئاً من التعقد ، غنيا عن التأويل(٤) ويقول الجاحظ معلقا على هذا التعريف : «وهذا تأويل قول الأصمعى البليغ مَنْ طبق المفصل، وأغناك عن المفسر(٥)» .

---

(١) البيان جـ ١ ص٧٥
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص٧٦
(٣) البيان جـ١ ص٧٦
(٤) ، (٥) البيان جـ١ ص١٠٦

وجاء أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن وهب الذى ألف كتابا سماه (البرهان فى وجوه البيان) قسم فيه البيان إلى أربعة أوجه :

١ — بيان الاعتبار : وهو بيان الأشياء بذواتها ، وإن لم تبن بلغاتها ، فالأشياء تبين للناظر المتوسم، والعاقل المتبين بذواتها ، وبعجيب تركيب الله فيها، وآثار صنعته فى ظاهرها ، كما قال الله عز وجل : (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين(١)) وقال تعالى : (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون(٢)) ، ولذلك قال بعضهم :

«قل للأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك؟، فإن هى أجابتك حواراً، وإلا أجابتك إعتباراً. فهى وإن كانت صامتة فى أنفسها ، فهى ناطقة بظاهر أحوالها» .

٢ — بيان الاعتقاد الذى يحصل فى القلب عند إعمال الفكرة واللب وهو ثمرة البيان الأول ، لأن بيان الاعتبار إذا حصل للمتفكر صار عالما بمعانى الأشياء ، وكان مايعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان ، وخص باسم «الاعتقاد» . وهذا البيان على ثلاثة أضرب : فمنه حق لاشبهة فيه ، ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه ، ومنه باطل لاشك فيه .

٣ — بيان العبارة الذى هو نطق باللسان ، لمّا كان ما يعتقده الإنسان يحصل فى نفسه ، غير متعدله إلى غيره ، وكان الله عز وجل قد أراد ان يتم فضيلة الإنسان ، خلق له اللسان ، وأنطقه بالبيان ، فخبر به عما فى نفسه من الحكمة التى أفادها ، والمعرفة التى اكتسبها ، فصار ذلك بيانا ثالثاً ، أوضح

---

(١) سورة الحجر الآية ٧٥

(٢) سورة العنكبوت الآية ٣٥

مما تقدمه وأعم نفعاً ، لأن الإنسان يشترك فيه مع غيره ، والذى قبله إنما ينفرد به وحده ، واللسان هو ترجمان اللب ، وبريد القلب ، والمبين عن الاعتقاد بالصحة أوالفساد ، وفيـه الجمال . كما قال النبى ﷺ وقد سأله العباس — رضى الله عنه — بعرفة فقال : فيم الجمال يارسول الله؟ فقال: فى اللسان .

٤— البيان بالكتاب الذى يبلغ مَنْ بَعُد أوغاب، لما علم الله عزوجل أن بيان اللسان مقصور على الشاهد دون الغائب ، وعلى الحاضر دون الغابر ، وأراد تعالى أن يعم بالنفع فى البيان جميع أصناف العباد ، وسائر آفاق البلاد ، وأن يساوى بين الماضين من خلقه والآتين ، والأولين والآخرين ، ألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها ، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم ، وعبروا به عن ألفاظهم ، ونالوا به ما بَعد عنهم ، وكملت بذلك نعمة الله عليهم ، وبلغوا به الغاية التى قصدها عز وجل فى أفهامهم وإيجاب الحجة عليهم(١) .

وواضح أن هـذه الوجوه لاتبعد كثيراً عن أنواع الدلالات عند الجاحظ . فبيان الاعتبار وبيان الاعتقاد هما معا بيان (النصبة) عند الجاحظ ، وبيان العبارة هو بيان : (اللفظ) عند الجاحظ ، وبيان الكتاب عند ابن وهب : هو بيان (الخط) عند الجاحظ .

ثم تناول الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (البيان) وحده بقوله : هو الإحضار لما يظهر به تميز الشىء من غيره فى الإدراك ، وقسمه إلى أربعة أقسام : كلام ، وحال، وإشارة ، وعلامة .

---

(١) نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر ، أو (البرهان فى وجوه البيان) لابن وهب ص ٧ وما بعدها نشر وزارة المعارف الطبعة الرابعة مطبعة مصر .

ثم قسم الكلام إلى قسمين : كلام يظهر به تميز الشيء من غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر به تميز الشيء ، فليس ببيان كالكلام المخلط والمحال الذى لا يفهم به معنى ، ولا يحسن أن يطلق اسم البيان على ماقبح من الكلام ؛ لأن الله قد مدح البيان فقال : (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) ، وقسم البيان إلى قسمين : بيان يكون باسم أوصفة ، وبيان يكون بالتأليف من غير اسم المعنى أو صفة كقولك : غلام زيد ، فهذا التأليف يدل على الملك من غير ذكر له باسم أو صفة .

ودلالة الاشتقاق كدلالة التأليف كقولك : غلام زيد ، فهذا التأليف يدل على الملك من غير ذكر له باسم أو صفة ، ودلالة الاشتقاق كدلالة التأليف كقولك : (قاتل) تدل على مقتول ، وقتل من غير ذكر اسم أو صفة لواحد منها .

ويرى الرمانى أن حسن البيان فى الكلام على مراتب ، فأعلاها مرتبة ماجمع أسباب الحسن فى العبارة من تعديل النظم حتى يحسن فى السمع ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتى على مقدار الحاجة فيما هو من حقه من المرتبة(١) .

وأما الشيخ عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ أو سنة ٤٧٤ هـ فسوى بينه وبين البلاغة والفصاحة والبراعة ، وجعله من مقتضيات النظم يقول : (لأن هذه المعانى التى هى الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها — التى يطلق البلاغيون عليها اسم البيان — من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون ، لأنه لا يتصور أن يدخل شىء

---

(١) النكت فى إعجاز القرآن للرمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى والجرجانى طبع دار المعارف تحقيق الدكتورين خلف الله وسلام ص ٩٨ — ١٠١

منها فى الكلام ، وهى أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره ، أفلا ترى أنه إن قدر فى اشتعل من قوله تعالى : (واشتعل الرأس شيبا)(١) ألا يكون الرأس فاعلا له ويكون شيبا منصوبا عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعارا . وهكذا السبيل فى نظائر الاستعارة »(٢) .

فالبيان عند عبد القاهر هو الأدب الحى والنتاج الراق ، والمقياس الذى يتفاضل به كلام على كلام ، وكل ما يوجب مزية لشاعر على شاعر ، وأديب على أديب ، والتصرفات البيانية التى يحدثها الأديب هى من مقتضيات النظم ، لأنه بها يكون وعنها يحدث كما يقول الشيخ عبد القاهر نفسه .

وضياء الدين بن الأثير يجعل (علم البيان) صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور ، أى أن عالم البيان هو الأديب الذى ينظم الشعر ، ويصوغ النثر .

وفى الفصل الثانى من مقدمة كتابه (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) يتكلم فى آلات علم البيان وأدواته .

يقول : (اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة ، وقد قيل : ينبغى للكاتب أن يتعلق بكل علم ، حتى قيل: كل ذى علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه ، فيقال : فلان النحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة

---

(١) الدلائل ص ٢٣٤، ٢٦٥

(٢) سورة مريم : الآية ٤

فيقال : فلان الكاتب ، وذلك لما يفتقر إليه من الخوض فى كل فن ، ثم يجمل ما يحتاج الأديب إلى تحصيله من ألوان المعارف ، والثقافات فى ثمانية .

١ — معرفة علم العربية من النحو والتصريف .

٢ — معرفة ما يحتاج إليه من اللغة . وهو المتداول المألوف استعماله فى فصيح الكلام ، غير الوحشى الغريب ، والمستكره المعيب .

٣ — معرفة أمثال العرب وأيامهم ، ومعرفة الوقائع التى جاءت فى حوادث خاصة بأقوام ، فإن ذلك يجرى مجرى الأمثال أيضا .

٤ — الإطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعات المنظومة منه والمنثورة وحفظ الكثير منه .

٥ — معرفة الأحكام السلطانية فى الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك .

٦ — حفظ القرآن الكريم ، والتدريب باستعماله ، وإدراجه فى مطاوى كلامه .

٧ — حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبى ﷺ : والسلوك بها مسلك القرآن الكريم فى الاستعمال .

٨ — ما يختص بالناظم دون الناثر ، وذلك علم العروض والقوافى الذى يقام به ميزان الشعر(١) .

---

(١) أنظر المثل السائر لابن الأثير ص ٤٠ ، ٤٣، ٤٤ تحقيق الدكتورين أحمد الحوفى وبدوى طبانة مطبعة نهضة مصر — القاهرة ١٩٥٩م

فواضح مما عرضنا أن البيان هو التعبير عما يدور فى الذهن وتحس به النفس بأسلوب فنى رائع ؛ أو هو القيمة البلاغية أو الميزة الفنية التى يتفاضل بها شاعر على شاعر أو أديب على أديب أو كلام على كلام ، وهو بهذا المعنى يشمل علوم البلاغة الثلاثة : وهى المعانى والبيان والبديع .

وجاء السكاكى[1] المتوفى سنة ٦٢٦هـ . وفتح له فصلا فى القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) وقال فى تعريفه : « هو معرفة إيراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه[2] وجعل أبوابه ثلاثة : التشبيه والمجاز والكناية .

فواضح أن السكاكى يجعل (البيان) أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعانى والبيان والبديع) وقد تابعه على ذلك معظم البلاغيين المتأخرين وعلى رأسهم تلميذه النابغة جلال الدين أبو عبد الله المعروف بالخطيب .

تعريف « علم البيان » عند الخطيب[3] القزوينى :

لخص الخطيب الجزء الثالث من كتاب (مفتاح العلوم) للسكاكى فى كتاب أطلق عليه (تلخيص المفتاح) ثم قام بشرحه فى كتاب أسماه

---

(١) السكاكى : هو سراج الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على أبو يعقوب السكاكى الخوارزمى الحنفى عالم بالعربية والأدب توفى سنة ٦٢٦ هـ

(٢) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٧٠ طبع الميمنية .

(٣) الإيضاح مع البغية ص٢ ، ج٣ الطبعة الخامسة نشر مكتبة الآداب ومطبعتها وهو : جلال الدين قاضى القضاة محمد بن عبد الرحمن الشافعى =

= الإيضاح فى شرح تلخيص المفتاح ، عرف فى كتابه الأخير (علم البيان) فقال : علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه) .

شرح التعريف :

علم : أصول وقواعد ، أو ملكة: وهى كيفية أو صفة راسخة فى النفس يعرف به : الضمير فى (به) يعود على العلم،أى يعرف بمراعاة ذلك العلم .

والمقصود بالمعنى الواحد: كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم، كالشجاعة ، أو الكرم أو الحلم ، أو الصبر مثلا :

واللام فى (المعنى) للاستغراق العرفى : أى المعنى الذى يريد المتكلم الحديث عنه ، وليس المقصود الاستغراق الحقيقى ، لأن المعانى لا تتناهى ، وهى فوق طاقة البشر .

وقيد المعنى (بالواحد) لتخرج المعانى المتعددة التى تؤدى بطرق مختلفة: كأن تعبر عن معنى الشجاعة بقولك :(محمد كالأسد فى الشجاعة) ثم تعبر عن معنى الكرم فتقول :(زارنى بحر) فليس هذا هو المقصود ، لأن المعنى مختلف فى المثالين .

والمراد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه : أن الأديب أو الشاعر إذا وقف على مسائل علم البيان استطاع أن يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض .

= ولد سنة ٦٦٦ هـ وولى منصب قاضى قضاة دمشق ثم مصر وكان خطيباً مفوهاً توفى سنة ٧٧٩ هـ عن ٧٣ عاما قضاها فى الدرس والبحث ونشر فيها بلاغة السكاكى فى كتابيه الإيضاح والتلخيص .

يقول أبو يعقوب المغربي(١): (فمثال إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في باب الكناية أن يقال في وصف زيد مثلا بالجود: وزيد مهزول الفصيل، وزيد جبان الكلب، وزيد كثير الرماد، فهذه التراكيب تفيد وصفه بالجود على طريق الكناية، لأن هزال الفصيل إنما يكون بإعطاء لبن أمه للأضياف، وجبن الكلب لإلفه الإنسان الأجنبي بكثرة الواردين من الأضياف فلا يعادى أحدا، ولا يتجاسر عليه، وهو معنى جبنه، وكثرة الرماد من كثرة الإحراق للطبائخ من كثرة الأضياف، وهي مختلفة وضوحا.

وهذه الأساليب كما ترى من باب واحد وهو (الكناية) وكثرة الرماد أوضحها أي أبلغها لكثرة الوسائط التي تجعل الفكر يعمل حتى يصل إلى المعنى المراد وهو إثبات الجود لزيد، فكثرة الرماد تدل على كثرة الطبخ، وكثرة الضيوف تدل عــلى الجود. ولكل أسلوب من هذه الأساليب مقام يقتضيه.

ومثال إيراد المعنى بطرق مختلفة في باب الاستعارة أن يقال في وصف زيد بالجود أيضا: (رأيت بحرا في الدار) في الاستعارة التحقيقية، و(طم زيد بالإنعام جميع الأنام) في الاستعارة بالكناية، لأن الطموم، وهو: (الغمر) بالماء وصف البحر فدل على أنه أضمر تشبيهه بالبحر في النفس، وهو الاستعارة بالكناية على ما يأتي. و(لجة زيد تتلاطم أمواجها)، لأن اللجة والتلاطم للأمواج من لوازم البحر، وذلك مما يدل على إضمار التشبيه في النفس أيضا، وأبلغها الأخير لقوته بكثرة الترشيحات كما سنرى في دراستنا للاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة، ويرى أبو يعقوب المغربي أن أوضح هذه الطرق الأول وأخفاها الوسط)(١) وكل واحدة منها مقام يستدعيها.

---

(١) انظر شروح التلخيص حـ ٣ ص ٢٥٩ — ٢٦١ طبع الحلبي
(٢) انظر شروح التلخيص حـ ٢ ص ٢٦٠

ومثال إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى التشبيه أن يقال : (زيد كالبحر فى السخاء . و (زيد بحر) . و (زيد بحر فى السخاء) ، وأبلغها الثانى لأنه تشبيه بليغ حذف فيه وجه الشبه لتذهب فيه النفس كل مذهب وحذف فيه أيضا أداة التشبيه ليخيّل لنا أن زيدا هو نفس البحر ، ولكل أسلوب مقام يقتضيه .

ولا بد فى علم البيان من اعتبار (المطابقة لمقتضى الحال) المعتبرة فى علم المعانى ، فإذا أنكر شخص كرم زيد مثلا ، قلت له بطرق الكناية مثلا : (إن زيدا كثير الرماد) ، فإذا لم تأت بالتأكيد لم يعتد بهذه الكناية .

وتصرفات الأديب فى هذه الأساليب وتنوعها بالطرق المختلفة فى وضوح الدلالة على المعنى المقصود سواء أكانت تشبيهات أم استعارات أم كنايات هى (علم البيان) على رأى السكاكى ومن لفّ لفّه ، أما عند الشيخ عبد القاهر فهى من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون .

ابواب علم البيان

اعتمد البلاغيون المتأخرون فى حصر أبواب علم البيان على حديث الدلالات، ولعل أول من اخترع الحديث عنها هو الإمام الرازى(١) حينما تحدث عن دلالة اللفظ على المعنى، وأنها إما وضعية، وإما عقلية، مستندا على عبارة مختصرة للشيخ عبد القاهر الجرجانى وهى: (أن تقول المعنى ومعنى المعنى تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذى تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذى فسرت لك(٢).

وجاء السكاكى فدرسها لأنه قال فى تعريف علم البيان: (هو معرفة إيراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه) فواضح أن الدلالة قد وردت فى تعريف السكاكى.

والدلالة(٣): كون الشىء بحيث يلزم من العلم به العلم بشىء آخر عند العلم بالعلاقة فهى: فهم أمر من أمر، والأمر الأول هو الدال والثانى هو المدلول.

---

(١) الرازى هو: أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الرازى الخطيب الشافعى، ولد سنة ٥٤٤ ﻫ للهجرة بالرى، وتوفى بمدينة هراه سنة ٦٠٦ ﻫ، انظر (ابن خلكان ﺟ ٣ ص ٣٨١ — ٣٨٤

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٧١ تحقيق المراغى

(٣) اعتمدنا فى هذا البحث على البغية مع الإيضاح ﺟ ٣ ص ١ — ٧ والمفتاح ص ١٤١ — ١٤٢ طبع الميمنية ونظرات فى البيان للدكتور الكردى ص ١٣ — ٢٦ طبع السعادة وشروح التلخيص ص ٢٦٣ — ٢٧٤ طبع الحلبى

وتكون لفظية وغير لفظية :

الدلالة غير اللفظية : تنقسم قسمين : عقلية وطبيعية .

عقلية : كدلالة الدخان على النار ، وكدلالة تغير العالم على حدوثه فهذه لا يمكن تغيرها .

طبيعية : كدلالة حمرة الوجه على الخجل والصفرة على الوجل فالعلاقة بين الدال والمدلول يقتضيها الطبع :

الدلالة اللفظية : وتنقسم إلى عقلية ، وطبيعية ، ووضعية .

عقلية : كدلالة اللفظ المسموع من وراء الجدار على وجود إنسان ، لأنه غير مشاهد ولا يمكن تفسيرها .

طبيعية : كدلالة التأوه على المرض ودلالة صراخ الطفل على خوفه فالربط بين الصراخ والخوف يقتضيه الطبع .

وضعية : كدلالة الأسد على الحيوان المفترس ودلالة الأسماء على مسمياتها ، فالربط بين الدال والمدلول بالوضع .

وهذه الدلالة الوضعية هى التى اهتم بها البلاغيون عند بحثهم فى تعريف البيان وقسموها ثلاثة أقسام:

١ — دلالة المطابقة :

وهى دلالة اللفظ على تمام ماوضع له كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق والرجل على الذكر من الإنسان ، ودلالة البيت على السقف والجدار وسميت مطابقية لأن اللفظ والمعنى تطابقا ، فاللفظ حينما يذكر يفهم السامع المعنى ؛ إذ العقل لايفتقر فى فهم المعنى من اللفظ إلى أمر آخر غير الوضع .

٢ — دلالة التضمن :

وهى دلالة اللفظ على جزء ماوضع له : كدلالة الإنسان على الحيوان فقط ودلالة البيت على الجدار أو السقف .

وسميت بذلك لأن الجزء مفهوم من اللفظ وذلك كالحيوان المفهوم من الإنسان فالحيوان فى ضمن المعنى الكلى للإنسان حيث أن الإنسان مجموع الحيوان والناطق فيفهم المعنى عند فهمه ، إذ الجزء فى ضمن المعنى الموضوع له .

٣ — دلالة الالتزام :

وهى دلالة اللفظ على معنى خارج مسماه لازم له كدلالة الإنسان على معنى الضاحك ، ودلالة السقف على الجدار ، فإنه خارج عنه لازم له وليس جزءاً منه .

وسميت بذلك لأن المدلول فيها لازم للمعنى الموضوع له اللفظ خارج عنه .

والمعتبر فى دلالة الالتزام عند البيانيين ، اللزوم الذهنى ، وهو مايثبته

ذهن المخاطب بوجه من الوجوه إما بعرف خاص أو عام أو قرينة .

والبلاغيون يسمون دلالة المطابقة وضعية ؛ لأن السبب فى حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره هو معرفة الوضع فقط دون حاجة لشىء آخر وراء الوضع ، إذ الواضع وضع اللفظ لتمام ماوضع له لا الجزء ولا اللازم .

ويسمون دلالة التضمن والالتزام عقلية ، لأن حصولهما بانتقال العقل من الكل إلى الجزء فى التضمنية ، ومن الملزوم إلى اللازم فى الالتزامية

وهذا الانتقال تصرف عقلى لايتوقف فيه العقل إلا على مجرد حصول المعنى لا على شىء آخر ، لأن الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع معناه غير أن العقل اقتضى أن الشىء لايوجد بدون جزئه ولازمه(١)

والذى يهم البلاغيون ويرمون إليه - متأثرين بالسكاكى - هو الدلالة العقلية وهى التضمنية والالتزامية ، أما الوضعية وهى المطابقية فلايلتفتون إليها ، لأن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن(٢) لأن الوضوح والكمال والنقص لايتطرق إليها ، إذ السامع إن كان عالما بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضها أوضح دلالة عليه من بعض ، وإن لم يكن عالما بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن كل واحد من الألفاظ دالا عليه لتوقف الفهم على العلم بالوضع

---

(١) انظر المفتاح ص ١٤٠ — ١٤١ طبع المطبعة الميمنية . وشروح التلخيص ح ٣ ٢٦٣ — ٢٧٢ طبع الحلبى

(٢) المفتاح ص ص ١٤٠

فإذا قلنا «خده كالورد فى الحمرة» فقد عبرنا عن المعنى المقصود بألفاظ تدل عليه دلالة وضعية لغوية يعرفها السامع مادام عالما بوضع هذه الألفاظ والهيئة التركيبية، ومن المحال أن يكون كلام يؤدى هذا المعنى بدلالة المطابقة دلالة أوضح من دلالة قولنا: «خده كالورد فى الحمرة» أو أخفى لأنا إذا أقمنا مقام كل لفظ مايرادفه فالسامع إن كان عالما بوضعها كان فهمه لها من المترادفات كفهمه إياها من غير تفاوت، وإن لم يكن عالما بوضعها لم يفهم من المترادفات ذلك المعنى أصلا، وكذا لو زاد فى الألفاظ زاد المعنى، ولو نقص فى الألفاظ نقص المعنى(١)» .

وعلى هذا أخرجوا الدلالة الوضعية من علم البيان، لأنه لايمكن أن يتأتى بها وجود الوضوح والخفاء، إذكل الأساليب التى تؤدى المعنى عن طريقها يمتنع أن يكون بعضها أوضح وبعضها أنقص عند العامة بوضع الألفاظ وأن غير العالم ليس له سبيلا إلى فهمها لجهله بوضعها .

أما العقلية وهى التضمنية والالتزامية فيتأتى بها اختلاف الكلام فى وضوح الدلالة لجواز أن يكون للشىء لوازم بعضها أوضح دلالة من بعض.

فواضح مما سبق أن السكاكى ومدرسته جعلوا الدلالة العقلية وحدها أساسا للوضوح والخفاء ، وحصروا البيان فى المجاز والكناية ، وأخرجوا التشبيه من أن يكون مقصوداً لذاته، وغرضا يرمى إليه لجماله وبهائه ، بل هو وسيلة لبناء الاستعارة عليه ، وذلك لأن التشبيه دلالته وضعية وقد عرفت أنهم أخرجوا الدلالة الوضعية من علم البيان لأنها كما قالوا لا يتأتى فيها الاختلاف فى الوضوح والخفاء .

---

(١) المطول ص ٣٠٦ وانظر أيضا شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٧٥ طبع الحلبى .

يقول السكاكى : «ثم إن المجاز أعنى الاستعارة من حيث أنها من فروع التشبيه كما ستقف عليه ، لاتتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم بل لابد فيها من تقدمه تشبيه شىء بذلك الملزوم فى لازم له تستدعى تقديم التعرض للتشبيه ، فلابد من أن نأخذه أصلا ثالثا ونقدمه فهو الذى إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب فى فنون السحر البيانى(١) فأنت ترى أنه يدخل التشبيه فى البيان ، ويجعله أصلا — بعد إخراجه من التعريف — وذلك لحاجة الاستعارة إليه .

ويقول الخطيب فى حصر أبواب المعانى : «ثم اللفظ المراد به لازم ماوضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية، ثم المجاز منه الاستعارة، وهى ماتبتنى على التشبيه، فيتعين التعرض له فانحصر المقصود فى التشبيه والمجاز والكناية(٢) .

فواضح أن الخطيب لايدخل التشبيه فى البيان إلا تبعا للاستعارة لابتنائها عليه فهو وسيلة لها، والاستعارة من المجاز الذى هو أصل بنفسه.

ولكن هذا الوضع لم يرق بعض البلاغيين وبخاصة أقطاب المدرسة السكاكية فهذا هو سعد الدين التفتازانى(٣) يعرض رأى السكاكى ويوضح مافيه من خلل واضطراب : «فإن قلت إذا كان ذكر التشبيه فى علم البيان بسبب ابتناء الاستعارة عليه ،فلم جعل مقصودا برأسه، دون أن يجعل مقدمة لبحث الاستعارة ، قلت لأنه لكثرة مباحثه ، وجموم فوائده ارتفع عن أن يجعل

---

(١) كتاب مفتاح العلوم السكاكى ص ١٤٠ — ١٤١

(٢) الإيضاح مع البغية ج٣ ص٦

(٣) التفتازانى هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى سعد الدين من أئمة العربية والبيان والمنطق توفى سنة ٧٩٣هـ .

مقدمة لبحث الاستعارة، واستحق أن يجعل أصلا برأسه، هذا هو الكلام في شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى، وأنت خبير بما فيه من الاضطراب. والأقرب أن يقال علم البيان: علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث التي أوردها في صدر هذا الفن[1] .

ويقول السيد الشريف[2] معلقا على رأى سعد الدين : « إن ماذكره السكاكى في التشبيه يقتضى جعله مقدمة ، وينافى كونه مقصدا من المقاصد البيانية ، لأن كثرة مباحثه المقدمة لاتجعلها داخلة في المقاصد ، ثم الحق أن التشبيه أصل برأسه من أصول هذا الفن، وفيه من النكت واللطائف البيانية مالايحصى، وله مراتب مختلفة في الوضوح والخفاء، مع أن دلالته مطابقية. وحينئذ يضمحل ماذهب إليه من أن الإيراد المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية أى المطابقية[3] فواضح أن السيد الشريف يرى أن التشبيه دلالته مطابقية ويجرى في دلالته الوضوح والخفاء وعلى هذا فهو مقصد برأسه وأصل من أصول هذا الفن .

ويرى هذا الرأى الدسوقى[4] في حاشيته إذ يقول : « ويمكن أن يقال إنه باب مستقل لذاته ، لأن الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود

---

(١) المطول ص٣٠٩، ٣١٠ طبعة ١٣٣٠ مطبعة أحمد كامل .

(٢) الشريف الجرجانى هو على بن محمد بن على من كبار العلماء بالعربية ولد في تاكوا سنة ٧٤٠هـ ودرس في شيراز وتوفى بها سنة ٨١٦هـ .

(٣) حاشية السيد على المطول ص٣١٠

(٤) الدسوقى هو : محمد بن محمد عرفة الدسوقى من أساطين العلماء بالعربية توفى سنة ١٢٣٠هـ .

عليه. كما تقدم ، فهو من هذا الفن قصدا ، وإن توقف عليه بعض أبوابه ، لأن توقف بعض الأبواب على بعض لا يوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن(١) وبمثل هذا أشار ابن يعقوب المغربى(٢) وابن عربشاه(٣) ،

هذه إشارة سريعة لما ذكره السكاكى ومن لف لفه ، حول حديث الدلالات والنتائج المترتبة عليها، ولعلك تؤمن معنا بأنه كان من الخير للبلاغة البعد عن هذه الأبحاث، والأخذ برأى الشيخ عبد القاهر الجرجانى بأن مسائل البلاغة تندرج تحت النظم ، أو على الأقل نأخذ برأى سعد الدين التفتازانى الذى سبق بيانه .

وعلى الرغم من أننا نميل إلى رأى الشيخ عبد القاهر الجرجانى إلا أننا سنجد أنفسنا مضطرين إلى السير على منهج السكاكى لأن أمهات كتب التراث البلاغى تسير عليه ، ويكفينا ما أشرنا إليه ونبدأ بالتشبيه الذى خصصنا له الفصل الأول من هذا الجزء.

---

(١) شروح التلخيص ج٣ ص٢٩
(٢) شروح التلخيص ج٣ ص٢٨٨
(٣) الأطول ج٢ ص٦٤

الفصل الأول

التشبيه

التشبيه من دلائل قوة الطبع ، ومعيار
فى الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير
المستعد له

عبد القاهر الجرجانى
أسرار البلاغة ص ١٠٠

التشبيه

التشبيه فى اللغة : الشِّبْهُ والشَّبَهُ : المثل،والجمع أشباه ، وأشبه الشىء ماثله،وفى المثل: مَنْ أشبه أباه فما ظلم وأشبهت فلانا ، وشابهته ، واشتبه على وتشابه الشيئان واشتبها :

أشبه كل واحد منهما صاحبه.وشبه إذا ساوى بين شىء وشىء.

والتشبيه : التمثيل (١) .

التشبيه فى إصطلاح البلاغيين

هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بالكاف ونحوها لاعلى وجه الاستعارة التحقيقية نحو « رأيت أسدا فى ميدان الحرب » ولاعلى وجه الاستعارة بالكناية نحو :«أنشبت المنية أظفارها» ، ولاعلى وجه التجريد الذى يذكر فى علم البديع نحو (لقيت بزيد أسدا) أو (لقينى منه أسد) ؛ فإن فى هذه الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى ، مع أن شيئاً منها لايسمى تشبيها إصطلاحا .

وإنما قيدنا الاستعارة بالتحقيقية والكناية ، لأن الاستعارة التخييلية كإثبات الأظفار المنية فى المثال المذكور ليس فى شىء من الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى ، على رأى الخطيب ؛ إذ المراد بالأظفار هنا معناها الحقيقى على ماسيجىء من أن الاستعارة بالكناية عند الخطيب تشبيه مضمر فى النفس .

---

(١) لسان العرب ص٢١٨٩-٢١٩٠

فالتشبيه الاصطلاحى : هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد، فدخل فيه مايسمى تشبيها بلاخلاف ، وهو ماذكرت فيه أداة التشبيه ، كقولنا : «زيد كالأسد» أو «كالأسد» بحذف زيد لقيام قرينة .

ومايسمى تشبيها على المختار كما سيأتى فى باب الاستعارة — وهو التشبيه الذى حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبر للمشبه كقولنا : (زيد أسد) .

أو كان اسم المشبه به فى حكم الخبر نحو (رأيت زيدا بحرا) فلفظ (بحرا) مشبه به ، وهــو فى حكم الخبر لوقوعه حالا ، والحال فى حكم الخبر(١) .

أركان التشبيه

أركان التشبيه أربعة :

١ — طرفاه : أى : المشبه وهو : الأمر الذى يراد إلحاقه بغيره .

والمشبه به وهو: الأمر الذى يلحق به المشبه .

٢ — وجه الشبه : وهو الوصف الذى يشترك فيه الطرفان، ويكون فى المشبه به أقوى منه فى المشبه .وقد يذكر وجه الشبه فى الكلام وقد يحذف.

٣ — أداة التشبيه : وهى اللفظ الذى يدل على التشبيه ، ويربط المشبه بالمشبه به وقد تحذف مثل قولنا : زيد أسد ، وقد تذكر مثل قولنا : زيد كالأسد .

٤ — وفى الغرض منه ، وتقسيمه بهذه الاعتبارات .

(١) انظر شروح التلخيص ص٣٩٦ ج٣

ومن المعلوم أن الشاعر وغير الشاعر يعتمد على أسلوب التشبيه فى إثبات المعنى وتقريره فى نفس المتلقى .

وتقوم بلاغة الكلام الفنى على نوع الصورة التى أثبت بها المتكلم المعنى الذى يريد أن ينقله إلى السامع أو القارىء ؛ كما تقوم على سلامة الطريق إلى تكوين هذه الصورة ، ودقة المسالك إليها ، والجهد العقلى الذى بذل من أجلها .

وبلاغة التشبيه تتلخص فى الإيجاز والتقرير والتأكيد وإثارة الخيال والتأثير الطيب على النفس الذى يحفزها على التفكير والعمل الجاد المثمر.

وللوقوف على درجة قوة صورة إثبات المعنى فى نفس المتلقى — درج البلاغيون على دراسة العناصر التى أسهمت من قريب أو بعيد فى تكوين هذه الصورة .

وأحق شىء وأولاه بالدراسة والتمحيص أركان التشبيه .

ونبدأ بطرفيه: وهما المشبه والمشبه به .

١ — طرفا التشبيه :

تقسيمهما إلى حسى وعقلى .

طرفا التشبيه هما : المشبه والمشبه به :

١ — ويكونان حسيين والمراد بالحسى ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة : البصر والسمع ، والشم ، والذوق واللمس .

(ا) فيكون الطرفان من المبصرات، كقوله تعالى: (وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون)(١) وقاصرات الطرف؛ أى: نساء قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم. والعين أى العيون الحسناء.

شبهت الآية النساء ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار، فلونه أبيض فى صفرة، وهو أحسن ألوان النساء، وتقول العرب إذا وصفت الشىء بالحسن والنظافة كأنه بيض النعام المغطى بالريش.

فالمراد أنهن نساء جميلات فصور هذا الجمال بصورة بيض النعام وحوله الريش بجماله الخلاب، فالتشبيه فى الآية الكريمة على قرب مأخذه يحرك النفس ويثير الخيال ويمس شغاف القلب ويعطى العناية بالمرأة والمحافظة عليها وحسن معاملتها. والطرفان يدركان بالبصر كما ترى.

وتأمل دقة التشبيه فى قوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان)(٢) تجد أن الآية شبهت النساء فى صفاء اللون مع حمرته بالياقوت والمرجان، والياقوت هو الحجر الكريم المعروف، والمرجان يطلق على صغار الدر، وإنما خص بها؛ لأن صفاءها أشد من صفاء كبار الدر، ودخل فى تكوين صورة إثبات جمال نساء أهل الجنة: عامل نفسى قوى وهو حب النفس للأحجار الكريمة والطرفان من المبصرات كما ترى. فهما حسيان.

ومن كلام البشر تشبيه الخد بالورد فى البياض المشرب بالحمرة، والقد بالرمح فى استقامته، والفيل بالجبل فى الضخامة، والشعر بالليل فى سواده، فالطرفان كما ترى — مما يرى بالبصر.

---

(١) سورة الصافات الآية ٤٨، ٤٩

(٢) سورة الرحمن الآية ٥٨

(ب) طرفا التشبيه من المسموعات ، وهـذا نحو تشبيه أزيز القدر بصوت الطائرة .

وتشبيه أواخر الميس بأصوات الفراريج فى قول ذى الرمة(١) :

كأن أصوات من إيغالهن بنا
أواخر الميس ، إنقاض الفراريج

الإيغال : مصدر أوغل فى السير إذا أبعد وأسرع ، والضمير للإبل ، والأواخر : جمع آخرة ، الرحل ، وهى : العود الذى يستند إليه الراكب والميس : شجر صلب تتخذ منه الرحال ، والمراد الرحال أنفسها مجازاً مرسلا من إطلاق الجزء على الكل ، أو إطلاق الشىء على ما يئول إليه ، والإنقاض — بكسر الهمزة — مصدر أنقضت الدجاجة : صوتت ، والفراريج ، جمع فروج وهو صغير الدجاج .

فأنت ترى أن ذا الرمة قد استعمل حاسة السمع فى تكوين صورة إثبات الصوت المنبعث من بعض الرحل الذى يحك بعضه بعضا ، فيحصل صوت شبيه بصوت صغار الدجاج من شدة السير واضطراب الرحل ؛ ووجه الشبه الاشتراك فى النغمة الخاصة .

(ج) طرفا التشبيه من المذوقات كتشبيه الريق بالخمر ووجه الشبه الطعم ، والفواكه بالعسل ووجه الشبه الحلاوة .

---

(١) غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود من فحول شعراء البادية والعصر الأموى ومن العشاق المشهورين فى التاريخ الأدبى توفى سنة ١١٧ هـ انظر ص ٢٠ ، ٢٠١ من كتاب « ذو الرمة شاعر الحب والصحراء » للدكتور يوسف خليف طبع دار المعارف .

(د) طرفا التشبيه من المشمومات كتشبيه بعض الأشياء بالريحان أو الكافور أو تشبيه النكهة بالعنبر ووجه الشبه الرائحة الطيبة ، أو ميل النفس إلى كل منهما .

(هـ) طرفاه من الملموسات ، وهذا نحو تشبيه الجسم بالحرير ، وحسن الشمائل بالديباج .

ومنه قول الشاعر :

لهـــا بشر مثـل الحرير ومنطـق
رخيم الحواشى لاهراء ولا نزر

فالمشبه (بشر) وأداة التشبيه (مثل) والمشبه به الحرير ، ووجه الشبه النعومة .

ويدخل فى الحسى « الخيـالى » وهو المركب الذى توجـد أجزاؤه فى الخارج دون صورته المركبة ، فتكون مادته مدركة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

كما فى قول أبى بكر أحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالصنوبرى :

وكأن محمـر الشقيـ ـق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

والشقيق هو : شقائق النعمان ، وقد أفرده لضرورة الشعر ، وقوله : (تصوب أو تصعد) بمعنى : مال إلى أسفل ، وإلى أعلى « فأو » فيه بمعنى (الواو) والياقوت حجر نفيس تختلف ألوانه ، والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد : حجر نفيس أشهره الأخضر ، وهو المراد هنا ، والمشبه هو نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وأداة التشبيه هى « كأن » والمشبه به

هو هيئة نشر أعلام مصنوعة من الياقوت على رماح مصنوعة من الزبرجد لم تشاهد قط لعدم وجودها ، ولكن أجزاءها موجودة ولذا تقول : إن المشبه به خيالى ، فالهيئة المركبة خيالية لكن الأشياء التى ركبت منها وهى العلم والياقوت والزبرجد أشياء موجودة ومشاهدة فهى محسوسة .

ومن الخيالى قول الصنوبرى أيضاً :

كلما باسط اليد نحو نيلوفرند
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

والنيلوفر هو : البشنين : وهو نبات ذو رائحة ينبت فى الماء الراكد أصله كالجزر وساقه أملس أخضر ، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر ، وزهره أحمر مشوب بصفرة ، والدبابيس جمع دبوس ، وهو عصا فى رأسها كالكرة ، ويسمى مقمعة ، والعسجد : الذهب أو جوهر كالدر والياقوت والخيالى هو المشبه به أيضاً .

٢ — ويكون طرفا التشبيه عقليين نحو : المرض الشديد كالموت ، فالمشبه المرض الشديد ، والمشبه به الموت ووجه الشبه عدم القدرة على الحركة وأصل الكلام : المرض الشديد يفقد صاحبه الحركة ، فترك المتكلم هذا الأسلوب ، واستعمل فى إثبات هذه الصفة طريق التشبيه فقال : « كالموت » وهنا يعمل العقل ويصل إلى أن المرض الشديد يمنع صاحبه عن الحركة فأسلوب التشبيه جعل السامع يفكر ليصل إلى المعنى المراد مع ما فى ذلك من الإيجاز والإيضاح والبيان .

ومن هذا قولهم : السفر كالعذاب ، والسؤال للخلق كالموت ، والضلال عن الحق كالعمى ، والاهتداء إلى الخير كالإبصار والجود كالمطر ، والعدو الشديد كالطيران .

ومنه قوله تعالى : (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السما فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)(١) شبهت الآية حال من أشرك بالله بحال من سقط من السماء فتلقفته الطير ومزقته ، أو أبعدته الريح إلى مكان غاية فى البعد .

والعقلى كما علمنا : هو الذى لايدرك لاهو ولا مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة بل يدرك بالعقل .

ويدخل البلاغيون فى العقلى مايسمونه « الوهمى » وهو ماليس مدركا بشىء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يكن مدركا إلا بهما ، كما فى قوله تعالى فى شجرة الزقوم : (طلعها كأنه رءوس الشياطين) (٢) .

وقول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والشياطين والغول وأنيابها مما لايدركه الحس لعدم تحققها ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .

ويدخل فى العقلى أيضا مايدرك بالوجدان كقولهم : الجوع كالنار والعطش كاللهب والشوق كالجمر ، والغيظ كالنار .

٣ — ويكون طرفا التشبيه مختلفين: بأن يكون أحدهما عقليا والآخر حسيا كقولهم : المنية كالسبع فالمشبه عقلى والمشبه به حسى ونحو : عطر

---

(١) سورة الحج الآية ٣١
(٢) سورة الصافات الآية ٦٥

كخلق الكريم » فالمشبه « عطر » وهو حسي والمشبه به « خلق الكريم » وهو عقلي .

ولعلك لا تنسى أن دراسة البلاغيين لأركان التشبيه لأجل معرفة العناصر المكونه لصورة إثبات المعنى ومعرفة الحاسة التى استخدمها الأديب فى الوصول إلى تحقيق غرضه وهذا من غير شك له مدخل فى الأحكام الأدبية النقدية .

تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه

(المشبه والمشبه به)

ينقسم التشبيه — باعتبار الطرفين المشبه والمشبه به — إلى أربعة أقسام.

١ — تشبيه المفرد بالمفرد ، وهو . ما طرفاه مفردان .

وهما . إما غير مقيدين مثل ، الخد كالورد — فالخد مشبه غير مقيد ، والورد مشبه به مفرد غير مقيد ، ومنه قوله تعالى . (وجعلنا الليل لباسا)(١) فشبه الليل باللباس ، وذلك أنه يستر الناس بعضهم عن بعض ، لمن أراد هربا من عدو ، أو إخفاء مالا يحب الاطلاع عليه من أمره ، ويقول ابن الأثير . أن هذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن الكريم .

وكذلك قوله تعالى . (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن(٢)) فشبه المرأة باللباس للرجل ، وشبه الرجل باللباس للمرأة(٣) والطرفان غير مقيدين .

ووجه الشبه جعله الزمخشرى حسيا ، فقال . لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ، ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه ، واستدل بقول النابغة الجعدى .

إذا ما الضجيع ثنى عطفها   تثنت عليه فكانت لباسا

وقيل . وجه الشبه عقلى ، والمراد . تشبيه كل واحد منهما باللباس

---

(١) سورة النبأ آيه ١٠

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧

(٣) المثل السائر لابن الأثير القسم الثانى ص ١٣٣ تحقيق طبانه والحوفى.

للآخر ، لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة ، كاللباس الساتر للعورة(١) .

وأما مقيدان .

أى أن المشبه مقيد والمشبه به مقيد وذلك كقولهم ، لمن لم يحصل من سعيه على شىء . هو كالقابض على الماء ، وكالراقم فى الماء — فإن المشبه هو الساعى لا مطلقا بل مقيدا بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكون قبضه على الماء أو رقمه فيه ، ووجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك ، لأن فائدة قبض اليد على الشىء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما لا يتماسك فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم فى الشىء أن يبقى أثره فيه ، فإذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد فى هاتين الصورتين هو . . الجار والمجرور ، ومثلهما قولهم . (هو كمن يجمع سيفين فى غمد) فالمشبه هو بقيد أنه طلب المستحيل والمشبه به من يضع سيفين فى غمد واحد . وهذا المثل يضرب للمستحيل ومثله قولهم . هو كمبتغى الصيد فى عريسة الأسد ، وهذا المثل يضرب لمن يطلب الشىء من غير موضعه .

وقد يكون القيد حالا ، كقولهم . هو كالحادى وليس له بعير وهذا المثل يضرب لمن ينتفع بما لا يملك .

ومما طرفاه مقيدان قول ابن الرومى .

إنى وتزيينى بمدحى معشرا   كمعلق درا على خنزير

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ص ١٧٤ ج١ الطبعة الثانية مطبعة الاستقامة نشر التجارية .

والواو في قوله . وتزييني . للمعية وعلى ذلك يكون المشبه في هـذا البيت . هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشرا — والمشبه به من يعلق دراً بقيد أن يكون تعليقه إياه على خنزير ، ووجه الشبه أن كل واحد يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشيء غير قابل للتزيين .

٢ — وأما مختلفان . والمقيد هو : (المشبه به) . كقوله .

والشمس كالمرآة في كف الأشل   لمـــا رأيتها بدت فوق الجبل

قيل . إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبي النجم ، وأحيانا ينسب إلى جبار بن جزء ، والمراد بالأشل . المرتعش اليد ، لأن المرآة إنما تؤدى هذه الحركة في كفه ، والشلل في الأصل يبس اليد أو ذهابها ، وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها ، فالمشبه هو : الشمس على الإطلاق وهو مفرد غير مقيد ، والمشبه هو . المرآة لا على الاطلاق بل باليد كونها في يد الأشل .

ونحوه قولهم . ثغره كاللؤلؤ المنظوم ، فالمشبه به هو اللؤلؤ بقيد كونه منظوما .

أو على العكس من ذلك . كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس ، فالمشبه وهو . المرآة بقيد كونها في كف أشل وكذلك قولهم : العين الزرقاء كالسنان ، فالمشبه العين بقيد كونها زرقاء ، ويشترط في التقييد أن يكون له تأثير في وجه الشبه .

٣ — تشبيه المركب بالمركب ، وهو . ما طرفاه كثرتان مجتمعتان . كما في قول . بشار بن برد .

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومثار من أثاره هيّجه ، والنقع : الغبار وقوله — تهاوى — بمعنى تتساقط أصله . تتهاوى حذفت إحدى التاءين فالمشبه هيئة الغبار مع السيوف وقد سلت من أغمادها ، وهى تعلو وترسب ، وتجيء وتذهب ، وتضطرب إضطرابا شديداً ، وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة ، وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، مع التلاقى والتداخل والتصادم والتلاصق والمشبه به هيئة الكواكب فى تهاويها فى وسط ظلام الليل وتداخلها واستطالة أشكالها . ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شيء مظلم .

ومثله قول البحترى .

ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق فى الغيم الجهام

الأحجال . جمع حجل . وهو البياض فى رجل الفرس ، ويجمع أيضاً على حجول ، والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه ، فالمشبه الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة البياض والسواد وهو مركب والمشبه به الهيئة الحاصلة من انتشار شعاع البرق فى وسط الغيم وهو مركب أيضاً .

وقال أبو فراس الحمدانى .

والماء يفصل بين روض الـ ـزهر فى الشطين فصلا
كبساط وشى جردت أيدى القيون عليه نصلا

فالمشبه حال ماء الجدول ، وهو يجرى بين روضتين على شاطئيه حلاهما الزهر ببدائع ألوانه منبثا بين الخضرة الناضرة ، وهو مركب ، والمشبه به حال سيف لماع لا يزال فى بريق جدته وقد جرّده القيون على بساط من

حرير مطرز وهو مركب ، ووجه الشبه الصورة المشتركة بين الطرفين وهي وجود بياض مستطيل حوله اخضرار فيه ألوان مختلفة .

وقال المتنبي فى سيف الدولة .

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

العقاب . طائر كاسر معروف بالعز والمنعة ، ويضرب به المثل فى ذلك فيقال ، أمنع من عقاب الجو ، وهو خفيف الجناح سريع الطيران .

فالمشبه صورة جانبى الجيش ميمنته وميسرته ، وسيف الدولة بينهما وما فيهما من حركة واضطراب ، وهو مركب والمشبه به صورة عقاب تنفض جناحيها وتحركهما وهو مركب ، ووجه الشبه ، وجود جانبين لشىء فى حال حركة وتموج .

وقال المعرى الرفاء .

وكأن الهلال نون لجين غرقت فى صحيفة زرقاء

فالمشبه . حال الهلال أبيض لامعا مقوسا وهو فى السماء الزرقاء والمشبه به حال نون من فضة غارقة فى صحيفة زرقاء . والطرفان مركبان ، ووجه الشبه هو . صورة وجود شىء أبيض مقوس فى شىء أزرق .

وأما بيت امرىء القيس .

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

يصف عقابا بكثرة الصيد ، والوكر : العش والعناب : شجر حبه كحب الزيتون أحمر ، والحشف : أردأ التمر ، شبه الرطب من القلوب بالعناب واليابس بالحشف البالى .

فالتشبيه فى البيت ليس من تشبيه المركب بالمركب ، وإنما هو من التشبيه المتعدد الطرف كما سيأتى .

لأن أحد الشيئين فيه فى الطرفين معطوف على الآخر أما فى طرف المشبه به — العناب والحشف البالى — فواضح .

وأما فى طرف المشبه ، فلأن جمع لفظ (قلوب) كالعطف فى المختلف ، فاجتماع شيئين أو أشياء فى لفظ تثنيه أو جمع لا يوجب أن إحداهما أو أحدها فى حكم التابع للآخر .

كما يكون ذلك إذا جرى الثانى صفة للأول أو حالا منه أو ما أشبه ذلك ، وقد صرح بالعطف فيما أجراه بيانا له من قوله — رطبا ويابسا والتشبيه المركب بالمركب ضربان :

أحدهما مالا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقول عبد الله بن المعتز .

وساق يجعل المنديل منه مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

والبادى : الظاهر ، والطرف : الفرس الكريم ، والأشهب : الأبيض ، والجلال : جمع جل وهو للدابة كالثوب للإنسان ، والمراد أنه أدبر عن ظهره حتى تكشف أكثر جسده ، لا أنه رمى به جملة حتى انفصل منه ، فإن الجلال فى مقابلة الليل ، ولو شبهه به لم يكن شيئاً .

وكقول القاضى التنوخى .

كأنما المريخ والمشترى قدامه فى شامخ الرفعة
منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدامه شمعة

والمريخ من النجوم السيارة ، وهو أقربها إلى الشمس ، والمشترى من النجوم السيارة أيضاً .

والمريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل . كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلفا من القول .

والثانى : ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر غير أن الحال تتغير ومثاله قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فإنه لو قيل . كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق كان تشبيها صحيحا ، لكن أين يقع من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سرورا وعجبا من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة فى أديم السماء ، وهى زرقاء زرقتها الصافية .

٤ — تشبيه المفرد بالمركب .

وأما تشبيه مفرد بمركب ، فكما مر من تشبيه الشقيق وهو مفرد بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وهو مركب من عدة أمور .

ومنه قول الخنساء .

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فالمشبه مفرد وهو الضمير العائد على « صخر » والمشبه به هيئة العلم وقد اشعلت النار فى قمته .

والعلم هو : الجبل

٥ — تشبيه المركب بالمفرد

أما تشبيه المركب بالمفرد فكقول أبى تمام .

يا صاحبي تقصيا نظريكما   تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهاراً مشمساً قد شابه   زهر الربا فكأنما هو مقمر

النهار المشمس الذي لاغيم فيه ، وقوله — شابه — بمعنى خالطه والربا، جمع ربوة وهي الأرض المرتفعة ، وقوله . « تقصيا نظريكما » . تقصيته أي بلغت أقصاه ، أي اجتهدا في النظر وأبلغا أقصى نظريكما ، وقوله «تصور» أي تتصور حذفت التاء ، يقال ، صوره الله في صورة حسنة فتصور «فكأنما هو» أي . ذلك النهار المشمس الموصوف « مقمر » أي . ليل ذو قمر ، لأن الأزهار باخضرارها قد نقصت من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد ، فالمشبه مركب ، والمشبه به مفرد ، وهو مقمر .

تقسيم التشبيه

إلى ملفوف ومفروق

وتسوية وجمع

وينقسم التشبيه — باعتبار الطرفين أيضا — إلى أربعة أقسام :

الأول التشبيه الملفوف ، والثاني التشبيه المفروق ، والثالث تشبيه التسوية ، والرابع ، تشبيه الجمع .

١ — فالتشبيه الملفوف ، هو جمع كل طرف منهما مع مثله ، كجمع المشبه مع المشبه ، والمشبه به مع المشبه به بحيث يؤتى بالمشبهات معا عن طريق العطف ، أو غيره ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك وذلك كقول امرىء القيس .

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابسا　　لدى وكرها العناب والحشف البالى

وكقول الشاعر :

ليـل وبدر وغصن　　شعر ووجـه وقـد

خمـر ودر وورد　　ريق وثغر وخـد

الثاني . التشبيه المفروق ، وهو . جمع كل مشبه مع ما شبه به .

كقول المرقش الأكبر .

النشر مسك والوجوه دنا　　نير وأطراف الأكف عنم

والنشر . الرائحة الطيبة . والعنم شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

ومنه قول أبي الطيب .

بدت قمرا ومالت خوط بـان وفاحت عنبرا ورنت غـزالا

الخوط . الغصن الناعم . والبان شجر معتدل القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، وقوله ، (رنت) بمعنى نظرت والمراد أنها بدت بوجه كقمره ومالت بقوام كخوط بان،وفاحت برائحة كعنبر،ونظرت بعين كعين غزال .

الثالث : تشبيه التسوية ، وهو أن يتعدد المشبه دون المشبه به .

كقوله :

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليـــالى
وثغره فى صفـاء وأدمعى كاللآلىء

لا يعرف قائلهما ، والصدغ ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هـذا الموضع ، وهو المراد هنا ، والثغر ، الفم أو مقدم الأسنان ، والثانى هو المراد هنا ، وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها ، لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا عما فيه من الـكدر .

الرابع . تشبيه الجمع . وهو أن يتعدد المشبه به دون المشبه .

كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لـؤلـؤ منضد أو برد أو أقاح

المنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوان وهو ورد له نور أوراقـه فى شكلها أشبه شىء بالاسنان ، والمشبه محذوف تقديره — كأنما يبسم عن ثغر كلؤلؤ .

وبعض البلاغيين يرى أن هذا المثال من قبيل الاستعارة لحذف المشبه ، ولـكن يبعد هذا الرأى أن هذا الحذف المقدر كالمذكور وليس فيه تناسى التشبيه ، وليس فيه ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به حتى تقول ان هذا البيت من قبيل الاستعارة .

ومن هذا النوع قول امرىء القيس :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل بــه برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر

والمدام . الخمر . وصوب الغمام . مطره . والخزامى . نبت زهره من أطيب الزهر . والقطر . عود يتبخر به — ويعل به — بمعنى يسقى مرة بعد مرة ، والضمير فى — به — للمذكور من المدام ، وما عطف عليه . والطائر المستحر . هو الديك الذى يصوّت بالسحر ، يعنى أنها طيبة الفم فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه بعد النوم . والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه ، فالمتعدد هو المشبه به ، ولكنه قلب التشبيه للمبالغة .

وجه الشبه

وجه الشبه وهو . المعنى الذى يشترك فيه الطرفان تحقيقا أو تخييلا.

١ — تقسيم وجه الشبه إلى تحقيق وتخييل

(ا) وجه الشبه التحقيقى :

مثل: لتشبيه الشعر بالليل، ووجه الشبه السواد، وكتشبيه النشر بالمسك ، ووجه الشبه طيب الرائحة ، فوجه الشبه هنا مأخوذ من صفة موجودة فى كل واحد من الطرفين، وذلك أن السواد ملاحظ فى الشعر والليل، والطيب مراعى فى رائحتها وفى رائحـــة المسك ، وكلاهما على حقيقته موجود فى الانسان وفيها وكذلك إذا شبهت الرجل بالأسد ، فالوصف الجامع بينهما الشجاعة وهى على حقيقتها موجودة فى الانسان ، وموجودة فى الأسد ، وإنما يقع الفرق بينه وبين السبع الذى شبه به من جهة القوة والضعف ، والزيادة والنقصان .

فهذا المعنى الذى قصدت اشتراك الانسان فيه مع الأسد من بين معان كثيرة يشتركان فيها، ألا ترى أنهما يشتركان فى كثير من الذاتيات وغيرها ، كالحيوانية ، والجسمية ، والوجود ، وغير ذلك مع أن شيئا منها ليس وجه الشبه .

(ب) وجه الشبه التخييلى :

والمراد بالتخييل. ألا يوجد ذلك المعنى فى أحد الطرفين ، أو كليهما ، إلا على سبيل التخييل والتأويل، نحو مافى قول القاضى التنوخى .

ربّ ليل قطعته كصدود أو فراق ما كان فيه وداع

موحش كالثقيل تقذى به العـ ـين وتأبى حديثه الأسماع
وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع

دجاه : جمع دجية ، وهي الظلمة ، والضمير لليل ، وروى «دجاها» والضمير للنجوم، ووجه الشبه في هذا التشبيه هو: الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جانب شيء مظلم أسود ، وهذه الهيئة غير موجودة في المشبه به — أعني السنن بين الابتداع — إلا على طريق التخييل ،وذلك أنه لما كانت البدعة ، وكل ماهو جهل يجعل صاحبه كمن يمشي في الظلمة ، فلا يهتدى الطريق ، ولا يأمن من أن يناله مكروه ، شبهت البدعة وكل ماهو جهل بالظلمة ، ولزم بطريق العكس — إذا أريد التشبيه — أن تشبه السنة، وكل ماهو علم بالنور ، لأن السنة والعلم كالنور ، والبدعة والجهل كالظلمة ، حتى تخيل أن السنة وكل ماهو علم مماله بياض واشراق نحو «أتيتكم بالحنيفة البيضاء» وتخيل أن البدعة ، وكل ماهو جهل مما له سواد وإظلام كقولك : شاهدت سواد الكفر من جبين فلان ، فصار — بسبب تخيل أن الثاني مما له بياض وإشراق ، والأول مما له سواد وإظلام — تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كتشبيهها ببياض الشيب في سواد الشباب ، أي . أبيضه في أسوده ، أو بالأنوار — أي. الأزهار — مؤتلقة — أي. لامعة ، بين النبات الشديد الخضرة حتى يضرب إلى السواد ، فهذا التأويل — أعني تخييل ماليس بمتلون متلونا — أظهر اشتراك النجوم بين الدجى، والسنن بين الابتداع في كون كل منهما شيئا ذا بياض في شيء ذي سواد ، ولا يخفى أن قوله (لاح بينهن ابتداع) من باب القلب . أي سنن لاحت بين الابتداع فالتأويل فيه أنه تخيل ماليس بمتلون متلونا ، ويحتمل وجها آخر ، وهو أن التأويل فيه يفسر بأنه أراد معنى قولهم، إن سواد الظلام يزيد النجوم حسنا — فإنه لما كان وقوف العاقل على عوار الباطل يزيد الحق نبلا في نفسه وحسنا في مرآة عقله، جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للمشاهد المبصر هناك ، غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه خلاف الظاهر أي . من تشبيه المحسوس

بالمعقول أى التشبيه المقلوب ، لأن الظاهر والأصل فى التشبيه أن يمثل أو يشبه المعقول بالمحسوس كما فعل البحترى فى قوله :

وقد زادها إفراط حسن جوارها خلائق أصفار من المجد خيب

وحسن درارى الكواكب أن ترى

طوالع فى داج من الليل غيهب

فالمعقول هو زيادة حسن الخلق والمحسوس هو زيادة حسن النجوم وتقدير البيت: «وقد زادها جوارها خلائق أصفار من المجد خيب إفراط حسن، فافراط مفعول لزاد مقدم على فاعله،وهو جوارها،وخلائق مفعول لجوارها، ومن المجد متعلق بأصفار،لأنها بمعنى خالية جمع صفر،والدرارى جمع درى وهو:الكوكب الثاقب المضىء كالدر، والداجى. المظلم ، والغيهب: الشديد السواد، والمراد تشبيه هيئة وجود خلائق لها مجد بين خلائق خالية منه بهيئة وجود درارى الكواكب فى ليل غيهب ، فشبه المعقول فى هذا بالمحسوس ووجه الشبه الضد يظهر حسنه الضد.أو شدة ظهور الضد لمجاورته لضده .

ومن التشبيه التخييلى قول أبى طالب الرقى من شعراء اليتيمة .

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وهو من تشبيه المحسوس وهو (الظلام) بالمعقول وهو (يوم النوى) (وفؤاد غير العاشق) وذلك أنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعا، فيقال.أسود النهار فى عينى وأظلمت الدنيا على — وكان الغـزل يدعى القسوة على من لم يعشق.والقلب القاسى يوصف بالسواد توسعا ، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سوادوجعلهما أعرف وأشهر من الظلام فشبهه بهما .

وكذلك قول عبد الصمد بن منصور المعروف بابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فابصرا

والسماكان . الأعزل والرامح . نجمان نيران وأفرده للضرورة الشعرية وضمير أبصر يعود إليه، يعنى أنه فتح وظهر،وفى البيت تشبيه محسوس وهو «الأرض» بمعقول وهو: أخلاق الكرام ووجه الشبه السعة فى كل . وذلك أن الأخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالأماكن الواسعة والضيقة تخيل أخلاق الكرام شيئا له سعة وجعله أصلا فيها فشبه الأرض الواسعة بها .

وكذا قول التنوخى من قطعة له فى وصف البرد :

فانهض بنار إلى فحم كأنهما　　فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا

فلما كان يقال فى الحق — إنه منير واضح — فيستعار له صفة الأجسام المنيرة، وفى الظلم خلاف ذلك،تخيلهما شيئين لهما إنارة وإظلام فشبه النار والفحم مجتمعين وهما محسوسان بالظلم والانصاف مجتمعين وهما عقليان.

ومن التشبيه التخييلى ما كتب به الصاحب إسماعيل بن عباد إلى القاضى أبى الحسن على بن عبدالعزيز الجرجانى وقد أهدى له الصاحب عطر القطر.

يا أيها القاضى الذى نفسى له　　مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه　　فكأنما أهدى له أخلاقه

شبه العطر بالثناء ووجه الشبه استطابة النفس لكل منهما فإنه لما كان الثناء يشبه بالعطر تخيله شيئاً له رائحة طيبة، وشبه العطر به ، ليوهم أنه أصل فى الطيب وأحق به منه ومثله قول الآخر .

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه　　نجاء من البأساء بعد وقوع(١)

---

(١) نسبه ابن المعتز فى البديع للعلوى الأصفهانى ،وهو محمد بن أحمد المعروف بابن طباطبا .

والانتضاء. الانكشاف. والنجاء: الخلاص: والبأساء: الشدة، والمشبه صورة ظهور البدر من تحت الغيم وهو محسوس والمشبه به صورة النجاء من الشدة بعد وقوعها وهو . معقول ووجه الشبه الخلاص ، وهو من التشبيه المقلوب. حيث رأى الخلاص من شدة ، يشبه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره عنه، قلب التشبيه ليرى أن صورة النجاء من البأساء لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيمة .

فعلم من وجوب إشتراك الطرفين فى وجه الشبه فساد جعل وجه الشبه فى قول القائل: (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) كون القليل مصلحا والكثير مفسداً ، لأن المشبه — أعنى النحو — لايشترك فى هذا المعنى ، لأن النحو لايحتمل القلة والكثرة ، إذ لايخفى أن المراد به ههنا رعاية قواعده واستعمال أحكامه مثل رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، وهذه إن وجدت فى الكلام بكمالها كان صالحا لفهم المراد ، وإن لم توجد بقى فاسداً ولم ينتفع به ، بخلاف الملح ، فإنه يحتمل القلة والكثرة بأن يجعل فى الطعام القدر الصالح منه ، أو أقل أو أكثر . بل وجه الشبه هو الصلاح بإعمالها والفساد بإهمالها(١) .

---

(١) شروح التلخيص جـ ٣ ص ٢٢٨

٢ — تقسيم وجه الشبه

إلى مفرد أو مركب أو متعدد وكل منها إلى حسى وعقلى

يكون وجه الشبه واحدا ، أو مركبا ، أو متعددا .

١ — وجه الشبه الواحد :

ينقسم وجه الشبه الواحد إلى حسى وعقلى .

(أ) وجه الشبه الواحد الحسى :

ولا يكون طرفاه إلا حسيين ، لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحس شيء : وذلك كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، فنقول خد كالورد فى الحمرة فالطرفان (المشبه والمشبه به) محسوسان ووجه الشبه مفرد حسى .

والخفاء فى تشبيه الصوت الضعيف بالهمس ، وطيب الرائحة فى تشبيه النكهة بالعنبر ، ولذة الطعم فى تشبيه الريق بالخمر ، ولين الملمس فى تشبيه الجلد الناعم بالحرير ففى كل هذه الأمثلة المشبه والمشبه به ووجه الشبه حسى .

(ب) وجه الشبه الواحد العقلى :

ويكون طرفاه حسيين وعقليين ومختلفين ، لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شيء ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى .

على أن السكاكى يأبى أن يكون وجه الشبه غير عقلى ، ويقول : إنه متى كان وجه الشبه حسيا ، وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجودا فى الطرفين ، وكل موجود فله تعين ، فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو

بعينه موجودا مع المشبه به ، بل يكون مثله مع المشبه به ، وبما أن المثلين لا يكونان شيئا واحدا، ووجه الشبه بين الطرفين لابد أن يكون شيئا واحدا، فيلزم أن يكون أمرا كليا مأخوذا من المثلين (أى المشبه والمشبه به) بتجريدهما عن التعين ، ومادام أن وجه الشبه اقتضت الضرورة أن يكون كليا ، والأمر الكلى يدرك بالعقل فوجه الشبه لا يكون إلا عقليا(١) . ويمكن أن يقال : إن المراد بكونه حسيا أن تكون أفراده مدركة بالحس كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر ، وإن كان هو فى نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس(٢) .

فمثال وجه الشبه العقلى والطرفان حسيان : قول النبى ﷺ : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فالمشبه (أصحابى) والمشبه به (النجوم) وهما محسوسان ووجه الشبه مطلق الاهتداء وهو عقلى ، وكذلك قولهم : زيد كالأسد ، فطرفاه حسيان ووجه الشبه عقلى وهو الجرأة .

ومثال وجه الشبه العقلى والطرفان عقليان . قولهم : العلم كالحياة ووجه الشبه جهة الإدراك .

ومثال وجه الشبه العقلى والطرفان مختلفان والمشبه معقول قولهم : العدل كالقسطاس فى تحصيل ما بين الزيادة والنقصان .

ومثال وجه الشبه العقلى والطرفان مختلفان والمشبه محسوس والمشبه به معقول نحو العطر كخلق كريم .

---

(١) انظر المفتاح للسكاكى ص ١٤٣

(٢) الإيضاح مع بغية الإيضاح ص ٢٤ ج ٣ عبد المتعال الصعيدى طبع الآداب والمؤيد .

٢ — وجه الشبه المركب :

ومعنى التركيب هنا : أن تقصد إلى عدة أشياء مختلفة فتنتزع منها هيئة وتجعلها مشبها أو مشبها به ، وقد قال صاحب المفتاح • فى تشبيه المركب بالمركب . أن كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة .

وكذا المراد بتركيب وجه الشبه . أن تعمد إلى عدة أوصاف لشىء فتنتزع منها هيئة .

وينقسم وجه الشبه المركب إلى حسى ، وعقلى .

١ — وجه الشبه المركب الحسى :

إما أن يكون طرفاه مفردين أو مركبين . أو أحدهما مركبا والآخر مفردا .

(أ) وجه الشبه المركب الحسى وطرفا التشبيه مفردان . كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرى والمقدار المخصوص كقول غيلان بن عقبة بن مسعود المعروف بذى الرمة :

وسقط كعين الديك عاورت صاحبى
أباها وهيأنا لموقعها وكرا

والسقط : النار الساقطة من الزند . وهى تنزل منه ، ووسطها أسود ، وحافتها حمراء كعين الديك . وقوله : — عاورت — بمعنى ناوبت ، وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين، فيضعوا أحدهما أسفل، ويسموه أنثى ، ثم يفرضوا فيه فرضا ، ويجروا فيه عودا آخر يسمونه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه ، والوكر : ماتودع فيه النار بعد خروجها — فالمشبه السقط وهو مفرد ، والمشبه به (عين الديك) وهو

مفرد ، ووجه الشبه مركب وهو : الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرى والمقدار المخصوص .

ومثله قول أحيحة بن الجُلاّح أو أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى
كعنقود ملاحية حين نورا

ملاحية : بضم الميم وتشديد اللام هنا — عنب أبيض فى حبه طول — وتخفيف اللام أكثر « حين نورا » أى تفتح نوره وكاف التشبيه هى التى فى قوله — كعنقود — أما الكاف قبلها فبمعنى على . ووجه الشبه هنا الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى — وإن كانت كبارا فى الواقع — على الكيفية المخصوصة — أى: لا هى مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق ، ولا شديدة الافتراق — منضمة إلى المقدار المخصوص من الطول والعرض ، فقد نظر إلى عدة أشياء ، وقصد إلى هيئة حاصلة منها ، والطرفان مفردان ، لأن المشبه هو الثريا بقيد كونها لاحت فى الصباح والمشبه به هو : العنقود مقيدا بكونه عنقود الملاحية فى حال إخراج النور والتقييد لاينافى الإفراد، لأن المراد بالمفرد : ماليس هيئة منتزعة من متعدد .

(ب) وجه الشبه المركب الحسى وطرفا التشبيه مركبان . كما فى قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار ، متفرقة فى جوانب شىء مظلم . فوجه الشبه والطرفان مركبان كذلك ، لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف ، بل عمد

إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها، وهى تعلو وترسب، وتجىء وتذهب، وتضطرب اضطرابا شديدا وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة، وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض مع التلاقى والتداخل والتصادم والتلاصق، وكذا فى جانب المشبه به، فإن للكواكب فى تهاويها تواقعا وتداخلا واستطالة لأشكالها.

ومثله قول أبى طالب الرقى:

وكأن أجرام النجوم لوامعا
درر نثرن على بساط أزرق

يريد لوامعا فى السماء حتى تكون هناك زرقة فى المشبه أيضا. وإنما حذفه للعلم به ووجه الشبه مركب وهو الهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير فى المرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة. والطرفان مركبان أيضا، لأن المشبه هو هيئة النجوم وهى تلمع على صفحة السماء الزرقاء والمشبه به هو درر لامعة متفرقة على بساط أزرق.

(ج) وجه الشبه المركب الحسى والمشبه مفرد والمشبه به مركب.

وذلك نحو قولهم: الشاة الجبلى كحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من جرم تشققت أجزاؤه من أعلاه وأسفله وظهر على قمته أجسام خضراء متفرقة. والمشبه مفرد: وهو الشاة الجبلى، والمشبه به هيئة منتزعة من حمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر وقد نبت على رأسه شجرتا غضا، وكما مر فى تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد — من الهيئة الحاصلة عن نشر أجرام مبسوطة على رءوس أجرام خضر مستطيلة. فالمشبه مفرد وهو الشقيق، والمشبه به مركب وهو ظاهر.

(د) وجه الشبه المركب الحسى والمشبه مركب والمشبه به مفرد وذلك كتشبيه : نهار مشمس قد شابه — أى : خالطه زهر الربا — ، بليل مقمر ، فى قول أبى تمام :

يا صاحبى تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر

ووجه الشبه مركب حسى وهو الصورة الحاصلة من مخالطة الألوان : الأبيض والأخضر والأحمر .

بديع المركب الحسى

قال الخطيب القزوينى ، ومن بديع المركب الحسى . وجه الشبه الذى يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة ، نعنى أن يكون وجه الشبه هو الهيئة التى تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما ويعتبر فيها تركيب .

ويكون ما يجىء فى تلك الهيئات على وجهين :

أحدهما : أن يقترن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون . وثانيهما : ألا يقترن بالحركة غيرها .

وعبارة الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى كتابه (أسرار البلاغة)(١) فى هذا الموضوع ، اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا — أن يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركات .

والهيئة المقصودة فى التشبيه على وجهين . أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما كما فى قوله :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل   لما رأيتها بدت فوق الجبل

أراد أن يريك مع الشكل الذى هو الاستدارة ومع الاشراق والتلألؤ على الجملة الحركة التى تراها للشمس ، اذا أنعمت التأمل ، ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة ، وذاك أن للشمس حركة متصلة دائمة فى غاية السرعة ، ولنورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب عجب ، ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآة فى يد الأشل ، لأن حركته تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد حتى ترى المرآة لا تقر فى العين ، وبدوام

---

(١) راجع اسرار البلاغة ص ١٦٩ — ١٨٠

الحركة وشدة القلق فيها يتموج نور المرآة ، ويقع الاضطراب الذى كأنه يسحر الطرف ، وتلك حال الشمس بعينها حين تحد النظر ، وتنفذ البصر ، حتى تتبين الحركة العجيبة فى جرمها وضوئها ، فإنك ترى شعاعها كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى بدأه إلى انقباض ، كأنه يجمعه من جوانب الدائرة إلى الوسط ، وحقيقة حالها فى ذلك مما لا يكمل البصر لتقريره وتصويره فى النفس ، فضلا عن أن تكمل العبارة لتأديته ، ويبلغ البيان كنه صورته .

ومثل التشبيه ، وإن ورد فى غير المرآة قول المهلبى الوزير .

الشمس من مشرقها قد بدت ... مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت ... يجول فيها ذهب ذائب

فإن البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها فى الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ، لما فى طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض . لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء .

ومن عجيب ماجمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول الحسين بن أحمد المعروف بالصنوبرى وكان معاصراً للمتنبى .

كأن فى غدرانها ... حواجبا ظلت تمط

أراد أن مايبدو فى صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم أنك تراها تمتد أمتدادا ينقص من انحنائها فينقلها من التقوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شىء بالحواجب إذا أمتدت ، لأن للحاجب كما لايخفى تقويساً ، ومده ينقص من تقويسه .

ومن لطيف ذلك أيضاً أعنى الجمع بين الشكل وهيئة الحركة .

قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض .

بكرت تعير الأرض ثوب شباب
رحبية محمودة الاسكاب
نثرت أوائلها حياً فكأنه نقط على عجل ببطن كتاب

الرحبية : مايسيل من الماء بجانبى الوادى ، وفى رواية رجبية نسبة إلى رجب . أى أنها تنهل فى شهر رجب وفاعل بكرت يعود إلى السحابة ، والإسكاب صحته (التسكاب) لأنه لا يوجد أسكب رباعى .

فالمشبه الحيا أى المطر والمشبه بههيئة النقط التى تنزل مسرعة على صفحة الكتاب ووجه الشبه هيئة الحركة مضافاً إليها الشكل .

ثانيهما : هيئة الحركة المجردة من كل وصف يكون فى الجسم ،فيقع فيها نوع من التركيب ، بأن يكون للجسم حركات فى جهات مختلفة نحو أن بعضها يتحرك يمين والبعض إلى شمال وبعض إلى فوق ، وبعض إلى قدام ونحو ذلك .

وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبعاض الجسم — إليها أشد ، كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر ، لحركة «الرحاء و «الدولاب وحركة السهم لاتركيب فيها ، لأن الجهة واحدة ، ولكن فى حركة المصحف فى قول ابن المعتز .

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا

فيها تركيب ، لأنه يتحرك فى الحالتين إلى جهتين ، جهة العلو فى حالة الانطباق ، وجهة السفل فى حالة الانفتاح وكلما كان التفاوت فى الجهات

التى تتحرك أبعاض الجسم إليها أشـــد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر .

ومنه قول الآخر .

حفت بسرو كالقيان تلحفت خضر الحرير على قوام معتدل
فكأنها والريح جاء يميلها تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل

قيل هما للأخيطل الأهوازى، وقيل . إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب، وقيل ، إنهما لابن المعتز ، والضمير فى — حفت — لروضة يصفها ، والقيان جمع قينة ، وهى الجارية ، وهن يشبهن فى اعتدال القد بالسرو وقد يشبه السرو بهن فى ذلك ، فيكون من التشبيه المقلوب ، وقوله - تلحفت — بمعنى اتخذت لحافا ، والخجل ، الحياء ، وفى هذين البيتين تفصيل دقيق ، وذلك أنه راعى الحركتين .

حركة التهيؤ للدنو والعناق، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ،وأدى ما يكون فى الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة لأن حركة الشجرة المعتدلة فى حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لامحالة من حركتها فى حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهم بالدنو ، لأن إزعاج الخوف أقوى أبدا من إزعاج الرجاء .

ومما مذهبه السهل الممتنع من هذا الضرب قول امرىء القيس.

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

يقول : إن هذا الفرس لفرط مافيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى كفله فى الحال التى ترى فيها لببه ،فهو كجلمود صخر دفعه السيل من مكان عال ، فإن الحجر بطبعه يطلب جهه السفل ، لأنها مركزه ، فكيف إذا

أعانته قوة دفع السيل من عل ، فهو لسرعة تقلبه يرى أحد وجهيه حين يرى الآخر .

ويقول الشيخ عبد القاهر الجرجانى(١) «واعلم أنه كما تعتبر هيئة الحركة فى التشبيه فكذلك تعتبر هيئة السكون على الجملة وبحسب اختلافه نحو هيئة الجالس ونحو ذلك .

فإذا وقع شيء من هيئات الجسم فى سكونه تركيب وتفصيل لطف التشبيه وحسن ، فمن ذلك .

قول ابن المعتز يصف سيلا .

فلما طغى ماؤه فى البلاد ... وغص به كل واد صدى
ترى الثور فى متنه طافيا ... كضجعة ذى التاج فى المرقد

وكقول المتنبى فى صفة الكلب .

يقعى جلوس البدوى المصطلى ... بأربع مجدولة لم تجدل

فقد أختص هيئة البدوى المصطلى فى تشبيه هيئة سكون أعضاء الكلب ومواقعها فيها (أى . مواقع الأعضاء فى تلك الهيئة) ولم ينل التشبيه حظاً من الحسن إلا بأن فيه تفصيلا من حيث كان لكل عضو من الكلب فى أقعائه موقع خاص ، وكان بمجموع تلك الجهات فى حكم أشكال مختلفة تؤلف فتجيء منها صورة خاصة ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وقوع كل عضو منهما فى موقع خاص .

ومن لطيف هذا الجنس قول الأخيطل الأهوازى فى صفة المصلوب .

كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الوداع إلى توديع مرتحل

---

(١) الأسرار ص ١٧٤ — ١٧٩

أوقائم من نعاس فيه لوثة مواصل لتمطيه من الكسل

والتفصيل فيه أنه شبهه بالمتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه ، اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث ، التمطى ومواصلته ، والتعرض لسببه ، ولو اقتصر على أنه كالمتمطى كان قريب التناول ، إلا أن هذا القدر يقع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداء ، لأنه من باب الجملة .

وشبيه بهذا القول قول دعبل بن على الخزاعى .

لم أر صفا مثل صف الزط تسعين منهم صلبوا فى خط
من كل عال جذعه بالشط كأنه فى جذعه المشتط
أخو نعاس جد فى التمطى قد خامر النوم ولم يغط

والزط . طائفة من الهند صلب منهم هذا العدد فى خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعتصم فشردهم ، ويعرفون الآن بالنور أو بالغجر ، فقوله . — كل عال — صفة لخط — وقوله — جذعه — فاعل عال ، وقوله — بالشط — صفة له . والضمير فى قوله . — كأنه — للواحد من المصلوبين والمشتط الخارج فى طوله عن الحد ، وقوله . — خامر — بمعنى خالط النوم ، وقوله . — يغط — بمعنى لم يستغرق فى النوم يتردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله .

والفرق بين قول دعبل والأخيطل ، أن قول الأخيطل صريح فى الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، لأنه اشترط المواصلة وفيها من الفائدة ما ليس فى قول دعبل « جد فى التمطى » فهذا ليس صريحاً فى استدامة التمطى ، وذلك أنه يجوز أن يبلغ ويجتهد ويجد فى تمطيه ثم يدع ذلك ويعود إلى ما كان عليه قبل التمطى .

وشبيه بالأول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى المصلوب أيضاً .

كأن له فى الجو حبلا يبوعه
إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

فقوله . إذا ماانقضى حبل أتيح له حبل — كقوله — مواصل لتمطيه من الكلل — فى التنبيه على استدامة الشبه ، لأنه إذا كان لايزال يبوع حبلا لم يقبض باعه ، ولم يرسل يده ، وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

٢ — وجه الشبه المركب العقلى

منه قوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه[١]) شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التى يحسبها تنفعه عند الله ، وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ، ويلقى خلاف ماقدر بسراب يراه الكافر بالساهرة — أى الأرض البيضاء المستوية — وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد مارجاه، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه إلى جهنم، فيسقونه الحميم والغساق ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض، وذلك أن روعى من الكافر فعل مخصوص، وهو حسبان الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة ، وهى صورة الأعمال الصالحة التى وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به ورسله عليهم السلام، وأنها لا تفيدهم فى العاقبة شيئا، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه، وهو العذاب الأليم، وكذا فى جانب المشبه به .

ووجه الشبه هو المنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذى هو على عكس ما قدر .

ومنه قوله تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا[٢]) .

والأسفار . جمع سفر — بكسر السين — وهو الكتاب — ووجه الشبه حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه وهو أمر عقلى

---

(١) سورة النور آية ٣٩

(٢) سورة الجمعة آية ٥

منتزع من عدة أمور ، لأنه روعى من الحمار فعل مخصوص هو الحمل وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهى الأسفار التى هى أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا فى جانب المشبه .

قد يقع الخطأ فى انتزاع وجه الشبه المركب .

واعلم أنه قد ينتزع وجه الشبه من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر من ذلك المتعدد ، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من قوله .

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة   فلما رأوها اقشعت وتجلت

و « أبرقت » بمعنى تحسنت وتعرضت لهم — وقوماً — منصوب بنزع الخافض ، فالكلام هنا على حذف الجار وإيصال الفعل ، أى أبرقت لقوم . عطاش : جمع عطشان ، وقوله « أقشعت وتجلت » أى . تفرقت وانكشفت .

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول من البيت « كما أبرقت قوما عطاشا غمامة » تشبيه مستقل لا حاجة به إلى الشطر الثانى (فلما رأوها أقشعت وتجلت) ويكون المراد من التشبيه ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، فيكون وجه الشبه غير مركب .

مع أن الشاعر قصد أن يثبت ابتداء مطمعاً متصلا بانتهاء مؤيس وذلك يتوقف على البيت كله ويكون وجه الشبه مركبا فلذلك يجب على الناقد أو الباحث أن يدقق فى فهم مغزى الشاعر حتى يستطيع أن يصل إلى المراد وعند ذلك يحالفه التوفيق فى انتزاع وجه الشبه المركب الذى هو هيئة منتزعة من أمور .

وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة ، كما فى قولنا . « زيد كالأسد والسيف

والبحر » ، فإن القصد فيها إلى التشبيه بكل واحد من الأمور على حدة ، حتى لو حذف ذكر البعض لم يتغير حال الباقى فى إفادة معناه أما الغرض من البيت فهو يريد أن يثبت ابتداء مطرها متصلا بانتهاء مؤيس كما مر .

وقد ظهر مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة أى المتعددة تفارق التشبيه المركب بأمور .

أحدها : أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثانى ، أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى إفادة ما كان يفيده قبل الحذف ، فإذا قلنا ، زيد كالأسد بأسا ، والبحر جوداً ، والسيف مضاء ، لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص ، بل لو قدم التشبيه بالسيف جاز ، ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره فى إفادة معناه بخلاف التشبيه المركب.

والثالث: أن التشبيهات المتعددة يعطف بعضها على بعض عطف المستقل على المستقل ، أما التشبيه المركب فإنه فى الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للآخر ، كأن يكون فى صفته أو صلته أو حالا منه أو معطوفا عليه بالفاء أو ثم ، فإذا توسطته بالواو كانت للمعية أو عاطفة متضمنة للمعية أو للحال .

٣ — وجه الشبه المتعدد وهو :

أن يقصد اشتراك الطرفين فى كل أمر من الأمور المذكورة، ولا يقصد إلى انتزاع هيئة منها تشترك فيها .

وينقسم إلى متعدد حسى ، ومتعدد عقلى ، ومتعدد مختلف .

(ا) وجه الشبه المتعدد الحسى ، كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى .

تقول . الليمون كالبرتقال البلدى فى اللون والطعم والرائحة .

(ب) وجه الشبه المتعدد العقلى ، كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد (أى نزو الذكر على الأنثى) فى تشبيه طائر بالغراب .

تقول . الصقر كالغراب فى حدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد .

(جـ) وجه الشبه المتعدد المختلف أى بعضه حسى وبعضه عقلى كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه إنسان بالشمس .

تقول : محمد كالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن

٤ — تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه

إلى تمثيل وغير تمثيل ، ومجمل ومفصل ، وقريب وبعيد

١ — التمثيل :

عقد الشيخ عبد القاهر فصلا(١) قيما فى التشبيه والتمثيل ، تحدث فيه عن الفروق بينهما ، وانتهى إلى أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل عنده تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا .

والتشبيه عند عبد القاهر ضربان :

أحدهما : التشبيه غير التمثيلى أو التشبيه الظاهر أو التشبيه الصريح .

وهو : ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه لا يحتاج إلى تأول وإعمال فكر ، لأن المشبه فيه يشارك المشبه به فى صفته ومثاله . كتشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة فى وجه وبالحلقة فى وجه آخر .

وكالتشبيه من جهة اللون ، كتشبيه الخد بالورد ، والشعر بالليل ، والوجه بالنهار . وتشبيه سقط النار بعين الديك ، وما جرى فى هذا الطريق . أو جمع الصورة واللون ، كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور ، والنرجس بمداهن در حشوهن عقيق .

وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح ، والقد اللطيف بالغصن ، ويدخل فى الهيئة حال الحركات فى أجسامها ، كتشبيه الذاهب

---

(١) أسرار البلاغة ص ٨٠ - ٩٥ تعليق محمد عبد العزيز النجار طبع صبيح ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م

على الاستقامة بالسهم السديد ، ومن تأخذه الأريحية فيهتز بالغصن تحت البارح[1] ونحو ذلك .

وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس ، نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره . كتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج كما قال ذو الرمة :

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس انقاض الفراريج

تقدير البيت : كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا ، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : « من إيغالهن » ، وكتشبيه صريف أنياب البعير بصياح البوازى كما قال ذو الرمة أيضاً :

كأنّ على أنيابها كل سحرة
صياح البوازى من صريف اللوائك[2]

وأشباه ذلك من الأصوات المشبهة له .

وكتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر ، وتشبيه اللين الناعم بالخز[3] ، والخشن بالمسح[4] أو رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور أو رائحة بعضها ببعض كما لا يخفى .

---

(١) البارح : الريح الشديدة

(٢) السحرة . بالضم ـ السحر الأعلى ـ أى أول السحر وهو ماقبل الفجر والصريف . صرير ناب البعير ، اللوائك : المواضغ : جمع لائكة . وهو المضغ ، والمراد : تشبيه صريف اللوائك بصوت البوازى .

(٣) الخز : الحرير :

(٤) المسح . بكسر الميم كساء غليظ من الشعر

وهكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع كتشبيه الرجل بالأسد فى الشجاعة والذئب فى المكر .

والأخلاق كلها تدخل فى الغريزة نحو السخاء ، والكرم ، واللؤم . وكذلك تشبيه الرجل بالرجل فى الشدة والقوة ومايتصل بهما .

فالشبه فى هذا كله بيِّن لايجرى فيه التأول ، ولا يفتقر إليه فى تحصيله وأى تأول يجرى فى مشابهة الخد للورد فى الحمرة وأنت تراها ههنا كما تراها هناك ؟ وكذلك تعلم الشجاعة فى الأسد كما تعلمها فى الرجل .

والضرب الثانى .

من التشبيه عند عبد القاهر هو . « التشبيه التمثيلى » . وهو مالا يكون الوجه فيه أمرا بيّنا بنفسه بل يحتاج فى تحصيله إلى ضرب من التأول ، والصرف عن الظاهر ، لأن المشبه لم يشارك المشبه به فى صفته الحقيقية . وذلك الوجه يتحقق فيما إذا كان الوجه ليس حسيا ، ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية . ولكنه يكون عقليا غير حقيقى ، أى غير متقرر فى ذات الموصوف .

مثال ذلك قولك . « هذه حجة كالشمس فى الظهور » فقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها ، كما شبهت فيما مضى الشىء بالشىء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما ، إلا أنك تعلم أن هذا التشبه لا يتم لك إلا بتأول ، وذلك أن تقول . حقيقة ظهور الشمس أو غيرها من الأجسام ألا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها ، ولذلك يظهر الشىء لك ، ولا يظهر لك إذا كنت وراء حجاب ، أو كان بينك وبينه ذلك الحجاب .

ثم تقول : أن الشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول ، لأنها تمنع

القلب رؤية ما هى شبهة فيه ، كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده، فإذا ارتفعت الشبهة ، وحصل العلم بمعنى الكلام الذى هو الحجة على صحة ما أدّى من حكم ، قيل ، هذا ظاهر كالشمس ، أى ليس ههنا مانع من العلم به ، ولا للتوقف والشك فيه مساغ . وأن المنكر له إما مدخول فى عقله ، أو جاحد مباهت ومسرف فى العناد . كما أن الشمس الطالعة لا يشك فيها ذو بصر ، ولا ينكرها إلا من لا عذر له فى إنكاره، فقد احتجت فى تحصيل الشبه الذى أثبته بين الحجة والشمس إلى مثل هذا التأويل كما ترى .

ثم إن ما طريقه التأويل يتفاوت تفاوتا شديدا . فمنه ما يقرب مأخذه ، ويسهل الوصول إليه ، ويعطى المقادة طوعا حتى أنه يكاد يداخل الضرب الأول الذى ليس من التأول فى شى .. ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأول ، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج فى استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة .

فما يشبه الذى بدأت به فى قرب المأخذ وسهولة المأتى قولهم فى صفة الكلام ، ألفاظه كالماء فى السلاسة ، وكالنسيم فى الرقة ، وكالعسل فى الحلاوة . يريدون أن اللفظ لا يستغلق ، ولا يشتبه معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه ، وليس هو بغريب وحشى يستنكر لكونه غير مألوف ، أو ليس فى حروفه تكرير ، وتنافر يكد اللسان من أجلهما . فصارت لذلك كالماء الذى يسوغ فى الحلق ، والنسيم الذى يسرى فى البدن ، ويتخلل المسالك اللطيفة منه ، ويهدى إلى القلب روحا ، ويوجد فى الصدر انشراحا ويفيد النفس نشاطا ، وكالعسل الذى يلذ طعمه ، وتهش النفس له ، ويميل الطبع إليه ، ويحب وروده عليه .

فهذا كله تأول ، ورد شىء إلى شىء بضرب من التلطف ، وهو

أدخل قليلا فى حقيقة التأول ، وأقوى حالا فى الحاجة إليه من تشبيه الحجة بالشمس .

وأما ما تقوى فيه الحاجة إلى التأول حتى لا يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع ، فنحو قول الأشقرى وقد أوفده المهلب إلى الحجاج ، فوصف له بنيه ، وذكر مكانهم من الفضل والبأس ، فسأله فى آخر القصة ، قال ، فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال . « كانوا حماة السرح نهارا ، فإذا أليلوا ففرسان البيات(١) : فأيهم كان أنجد ؟ قال ، « كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها » : فهذا كما ترى ظاهر الأمر فى فقره إلى فضل الرفق به والنظر .

ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ؟ .

وليس كذلك تشبيه الحجة بالشمس ، فإنه كالمشترك البيّن الاشتراك ، حتى يستوى فى معرفته اللبيب اليقظ والمضعوف المغفل ،

وهكذا تشبيه الألفاظ بما ذكرت قد تجده فى كلام العامى ، فأما ما كان مذهبه فى اللطف قوله «هم كالحلقة» فلا تراه إلا فى الآداب . والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوى العقول الكاملة .

ثم يقول الشيخ عبد القاهر . «وإذ قد عرفت الفرق بين الضربين ، فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه تمثيلا ، فأنت تقول فى قول قيس بن الخطيم .

---

(١) السرح . المال السائم من الأنعام ، أليلوا . دخلوا فى الليل ، والبيات الهجوم على العدو ليلا أى هم يقظون ولا يطرقهم طارق إلا كانوا على صهوات خيولهم لملاقاته .

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى
كعنقود ملاحية حين نورا

إنه تشبيه حسن ولا تقول تمثيل[١] .

وكذلك تقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لأنك تعنى تشبيه المبصرات بعضها ببعض ، وكل مالا يوجد التشبيه فيه من طريق التأويل كقوله.

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق[٢]

وقوله :

وأرى الثريا فى السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد[٣]

وقوله :

وتروم الثريا فى الغروب مراما

---

(١) لما عرفنا من أن وجه الشبه فى هذا البيت مركب حسى ، والتمثيل عند عبد القاهر لا بد أن يكون وجه الشبه عقليا .

(٢) النرجس نوع من الزهر أبيض اللون ، وفى وسطه نكتة يخالف لونها لون بقية الزهرة ، وتكون هذه النكتة غالبا سوداء ، والشعراء يشبهون العيون بالنرجس لذلك ، والمداهن ، جمع مدهن . والمراد به ههنا علبة يوضع فيها الدهن ، والمشبه فى هذين البيتين النرجس وهو حسى ، والمشبه به علب متخذة من الدر حشى جوفها عقيقا وحسى أيضا ووجه الشبه التفاف أحد اللونين بالآخر وهو حسى .

(٣) المشبه الثريا فى وسط ظلام الليل ، والمشبه به قدم بدت من ثياب أسود ووجه الشبه بياض ظهر فى وسط سواد والطرفان ووجه الشبه من المحسوسات .

كانكباب طمر كاد يلقى اللجاما(١)

وقوله :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود(٢)

وما كان من هذا الجنس . ولا تريد نحو قوله (أي ابن المعتز) .

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله(٣)

---

(١) المشبه الثريا وقد انحدرت ناحية الغروب والمشبه به الفرس وقد انكب فكشف اللجام عن بعض جسمه ، ووجه الشبه بياض بجانبه سواد والطرفان ووجه الشبه من المحسوسات .

(٢) سقم الهلال . أراد صغره وأخذه فى الذهاب ، ويتلو . يتبع ، والفاغر . الذى يفتح فمه ، تقول . « فغر فلان فمه » يريد فتحه ، والشره — بفتح الشين وكسر الراء — الشديد النهم والرغبة فى الأكل ، والمشبه فى هذين البيتين الهلال ، والمشبه به رجل فاغر فمه لأكل عنقود من العنب ، وكلاهما حسى ووجه الشبه هيئة أجرام بيضاء يحيط بها شىء مقوس .

(٣) والمضض . مصدر مض عن الشىء بمعنى شق عليه ، وآلمه ، والتشبيه فى البيتين ضمنى ، فالمشبه الحسود المتروك مقاولته مع تطلبه إليها لينال بها نفثة مصدور المشبه به النار التى لا تمد بالحطب ، ووجه الشبه إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء فالوجه مركب عقلى والتشبيه تمثيل .

وذلك أن إحسانه فى النوع الأول أكثر،وهو به أشهر،وكل مالا يصح أن يسمى تمثيلا، فلفظ المثل لايستعمل فيه أيضا،فلايقال . ابن المعتز حسن الأمثال،تريد به نحو الأبيات التى قدمتها،وإنما يقال.صالح بن عبد القدوس كثير الأمثال فى شعره يرادنحوقوله .

وإن من أدبته فى الصبا   كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا   بعد الذى أبصرت من يبسه

وماأشبهه مما الشبه فيه من قبيل مايجرى فيه التأول،ولكن[1]إن قلت فى قول ابن المعتز .

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ماتأكله

إنه تمثيل،فمثل الذى قلت ينبغى أن يقال ، لأن تشبيه الحسود إذا صبر عليه، وسكت عنه،وترك غيظه يتردد فيه بالنار التى لاتمد بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا مما حاجته إلى التأول ظاهرة بينة .

ويقول الشيخ عبد القاهر.داعلم أن الذى أوجب أن يكون فى التشبيه هذا الانقسام .أن الاشتراك فى الصفة يقع مرة فى نفسها وحقيقة جنسها، ومرة فى حكم لها ومقتضى .

فالخد يشارك الورد فى الحمرة نفسها ، وتجدها فى الموضعين بحقيقتها ،

---

(١) المونق تخفيف مؤنق،يقال:دأنق، إذاكان حسنا معجبا وفى رواية مورقا والمراد .تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان غرسه فيمايلزم كل واحد من كون المؤدب فى صباه مهذب الأخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته،وكون العود المسقى أوان غرسه مونقا بأوراقه ، ونضرته لسقيه المصادف وقته ووجه الشبه كال الاستحسان بعد أن لم يكن .

واللفظ يشارك العسل فى الحلاوة لا من حيث جنسها، بل من جهة حكم وأمر يقتضيه، وهو ما يجده الذائق فى نفسه من اللذة، والحالة التى تحصل فى النفس إذا صادفت حاسة الذوق، ما يميل إليه الطبع ويقنع منه بالموافقة، فلما كان كذلك أحتيج لا محالة — إذا شبه اللفظ بالعسل فى الحلاوة — أن يبين أن هذا التشبيه ليس من جهة الحلاوة نفسها وجنسها، ولكن من مقتضى لها، وصفة تتجدد فى النفس بسببها، وأن القصد أن يخبر بأن السامع يجد عند وقوع هذا اللفظ فى سمعه حالة فى نفسه، شبيهة بالحالة التى يجدها الذائق للحلاوة من العسل حتى لو تمثلت الحالتان للعيون لكانتا تريان على صورة واحدة، ولوجدتا من التناسب، على حد الحمرة من الخد، والحمرة من الورد.

وليس ههنا عبارة أخص بهذا البيان من التأول.

وأما الضرب الأول أى: «التشبيه غير التمثيلى» فإذا كان المثبت من المشبه فى الفرع من جنس المثبت فى الأصل كان أصلا بنفسه وكان ظاهر أمره وباطنه واحدا، وكان حاصل جمعك بين الورد والخد، أنك وجدت فى هذا وذاك حمرة، والجنس لا تتغير حقيقته بأن يوجد فى شيئين، وإنما يتصور فيه التفاوت بالكثرة والقلة والضعف، نحو أن تكون حمرة هذا الشىء أكثر وأشد حمرة من ذاك.

وإذا تقررت هذه الجملة حصل من العلم بها أن التشبيه الحقيقى الأصلى هو الضرب الأول، وأن هذا الضرب فرع له ومرتب عليه.

فواضح مما سبق أن التشبيه غير التمثيلى عند عبد القاهر يكون وجه الشبه فيه حسيا، أى مدركا بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس، كما يكون الوجه فيه عقليا حقيقيا، أى ثابتا فى ذات الموصوف كالأخلاق والغرائز والطباع وهذا الضرب قد يسميه عبد القاهر «التشبيه الظاهر»، وقد يطلق عليه «التشبيه الصريح» وقد يسميه «التشبيه

الأصلى الحقيقى ، ويجعل التمثيل فرعا له ومبنيا عليه، وقد يخصه باسم التشبيه.

أما التمثيل أو التشبيه التمثيلى، فإن وجه الشبه فيه لا يكون حسيا، ولا من الغرائز والطباع العقلية الحقيقية ولكنه يكون عقليا غير حقيقى، أى غير متقرر فى ذات الموصوف، فلا يكون بيّنا فى نفسه، بل يحتاج فى تحصيله إلى تأول، لأن المشبه لم يشارك المشبه به فى صفته الحقيقية. والوجه فى التشبيه التمثيلى عنده يكون عقليا مفرداً كما يكون عقليا مركبا.

ويرى السكاكى أن التمثيل هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور أى أن وجه الشبه مركب عقلى غير حقيقى.

وذلك مثل تشبيه الحسود المزوك مقاولته بالنار التى لا تمد بالحطب، وكذلك تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان الغرس .

وكالذى فى قوله عزّ من قائل: «مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون(١)» — فإن وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم فى الآية هو رفع الطمع إلى تمنى مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وأنه أمر توهمى كما ترى منتزع من أمور جمة .

وكالذى فى قوله تعالى: «أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت(٢)» — وأصل النظم كما يقول السكاكى «. أو كمثل ذوى صيب لحذف ذوى لدلالة يجعلون أصابعهم فى آذانهم عليه. وحذف «مثل» لما دل عليه عطفه على قوله كمثل

---

(١) سورة البقرة آية ١٧

(٢) سورة البقرة آية ١٩

الذى استوقد نارا ، إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين مثل المستوقدين وهو صفتهم العجيبة الشأن، وبين ذوات ذوى الصيب إنما التشبيه بين صفة أولئك وبين صفة هؤلاء .

ونظيره قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله(١)» .

فأوقع التشبيه بين كون الحواريين أنصار الله وبين قول عيسى للحواريين من أنصارى إلى الله ، وإنما المراد كونوا أنصار الله مثل كون الحواريين أنصاره وقت قول عيسى .

وكذا الذى فى قوله عز وجل : «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا» فإن وجه التشبيه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل بما فى التوراة ثم لم يعملوا بذلك ، وبين الحمار الحامل للأسفار هو : حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شىء بالانتفاع به مع الكد والتعب فى استصحابه ، وليس بمشتبه كونه عائدا إلى التوهم ومركبا من عدة معان(٢) .

أما التمثيل عند الخطيب القزوينى — وجمهور البلاغيين من بعده . فهو ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد ، أى أمرين أو أمور ، أى مركبا ، سواء أكان هذا المركب حسيا كما فى تشبيه مثار النقع مع

---

(١) سورة الصف آية ١٤

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦٤ — ١٦٦ طبع الحلبى الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧ م

الأسياف بالليل مع الكواكب أم كان عقليا غير حقيقى كما فى تشبيه حال المنافقين بحال الذى استوقد نارا فلما أضاء ما حوله ذهب الله بنورهم فى قوله تعالى : «مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، وتركهم فى ظلمات لا يبصرون» .

مما تقدم نعلم :

١ — أن التمثيل عند عبد القاهر ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير حقيقى من غير نظر إلى إفراد أو تركيب .

٢ — والتمثيل عند السكاكى ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير حقيقى وكان مركبا .

٣ — وعند الخطيب وجمهور البلاغيين ما كان الوجه فيه مركبا، بصرف النظر عن كونه حسيا أو عقليا .

ويترتب على ذلك ما يأتى :

(أ) قولهم : «الخد كالورد» تشبيه فقط، وليس تمثيلا عند أحد منهم ، لفقده شرط عبد القاهر بكونه حسيا، وشرطى السكاكى بكونه حسيا مفردا وشرط الخطيب والجمهور بكونه مفردا .

(ب) قولهم :(لفظ كالعسل) ينفرد عبدالقاهر باعتباره تمثيلا، ولكونه عقليا غير حقيقى. وليس تمثيلا عند السكاكى والخطيب لفقد التركيب الذى يشترطانه .

(ح) وقول : بشار «كأن مثار النقع » ينفرد الخطيب والجمهور باعتباره

تمثيلا، لتوافر شرطهم وهو التركيب، ولا يعده عبد القاهر ولا السكاكى من التمثيل، لأنه حسى.

(د) وقول الشاعر: «وأن من أدبته فى الصبا» تمثيل عند الجميع، لتحقق شرط عبد القاهر وهو كونه عقليا غير حقيقى، وشرط الخطيب «وهو كونه مركبا»، وشرطى السكاكى: التركيب، وكونه عقليا غير حقيقى.

المجمل والمفصل

وينقسم التشبيه — باعتبار وجه الشبه أيضا — إلى قسمين :

الأول المجمل ، والثانى المفصل .

١ — التشبيه المجمل . هو ما لم يذكر فيه وجه الشبه وهو ، على ضربين :

(أ) ما كان تقدير وجه الشبه فيه ظاهرا يفهمه كل أحد حتى العامة ، كقولنا «زيد أسد» إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه فى الشجاعة دون غيرها .

(ب) ما كان تقدير وجه الشبه فيه خفيا لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة .

كقول كعب الأشقرى . فى وصف بنى المهلب للحجاج لما سأله عنهم ، وأن أيهم أنجد ، كانوا كالحلقة المفرغة(١) لا يدرى أين طرفاها ، أى لتناسب أصولهم وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا ، وبعضهم أفضل منه ، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفا ، وبعضها وسطا ، فيكون وجه الشبه هو . الأمر الكلى الخالى عن التفاوت . ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غاية فى الدقة لوجه الشبه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم فى الصورة .

---

(١) الحلقة المفرغة . هى التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب . وقد نسبه الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة ص ٨٩ طبع صبيح تصحيح النجار — إلى كعب الأشقرى ، ونسبه الزمخشرى الى الأنمارية قيل هى فاطمة بنت الخرشب سئلت عن بنيها أيهم أفضل ؟ فقالت عمارة لا بل فلان ، لا بل فلان ، ثم قالت . ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى لا يدرى أين طرفاها .

ومن التشبيه المجمل ما ذكر فيه وصف المشبه به كالمثال الذى مر . هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها (فقولنا . المفرغة لا يدرى أين طرفاها) كل هذا من أوصاف المشبه به ، ولا يخرج التشبيه عن كونه مجملا .

ومثله قول زياد الأعجم :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا　　　لكا لبحر مهما تلق فى البحر يغرق

فالمشبه به البحر والجملة بعده حال فهى صفة له ، ووجه الشبه عدم ظهور الأثر فى كل منهما .

وكذا قول النابغة الذبيانى :

فإنك شمس والملوك كواكب　　　إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فالمشبه الممدوح والملوك والمشبه به : الشمس والكواكب وجملة . إذا طلعت لم يبد منهن كوكب صفة تنبىء عن وجه الشبه وهو : القوة الكبرى التى تسحق ما حولها .

ومن التشبيه المجمل أيضا ما ذكر فيه وصف المشبه والمشبه به كقول أبى تمام :

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه　　　عنى وعاوده ظنى فلم يخب

كالغيث ان جئته وافاك ريقه　　　وان ترحلت عنه لج فى الطلب

صدفت بمعنى أعرضت . والمواهب . الهبات . وافاك . بمعنى أتاك ، وريقة أواه أو أفضله ، وقوله — لج — بمعنى ألح ، وصفة المشبه به يتضمنها البيت الثانى ، وفيهما اشارة الى وجه الشبه وهو الافاضة فى حال الإعراض وفى حال الطلب .

ومن التشبيه المجمل أيضا ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به مثل قولنا . زيد أسد . والمراد بالوصف . الوصف الذى يكون فيه إيماء الى وجه الشبه لا مطلق وصف .

٢ — التشبيه المفصل :

هو ما ذكر فيه وجه الشبه كقول ابن الرومى :

يا شبيه البدر فى الحسـ ن وفى بعد المنال

جد فقد تنفجر الصخـ رة بالماء الزلال

فالمشبه الممدوح وأداة التشبيه « شبيه » والمشبه به البدر ووجه الشبه فى الحسن و فى بعد المنال .

وقول أبى بكر الخالدى :

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لينا وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما وبلالا
زارنا حتى اذا ما سرنا بالقرب زالا

البلال . بتثليث الباء ، الندوة ، ويروى — ملالا — والمراد ، سرعة الزوال ، والمفارقة ، فالمشبه الممدوح وأداة التشبيه فى البيتين الأول والثانى شبيه والمشبه فى البيت الأول ، البدر ووجه الشبه حسنا وضياء و منالا ، وفى البيت الثانى المشبه به الغصن والمشبه فى البيت الثالث ، أنت وأداة ، التشبيه مثل والمشبه به الورد ووجه الشبه لونا ونسيما و بلالا .

٣ — القريب المبتذل ، والبعيد الغريب

١ — القريب المبتذل :

التشبيه القريب المبتذل ، هو ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به تدقيق نظر لظهور وجهه فى بادىء الرأى وسبب ظهوره أمران .

الأمر الأول :

يكون التشبيه قريباً مبتذلا ، لكون وجه الشبه أمراً جليا لا تفصيل فيه ، فإن الجملة أسبق إلى النفس عن التفصيل ، كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة .

الأمر الثانى :

يكون التشبية قريباً مبتذلا ، لكون وجه الشبه فيه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن .

أما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالاجاصة(١) فى الشكل وفى المقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك وتشبيه الوجه بالبدر ، فى الإشراق أو الاستدارة ، أو العيون بالنرجس .

وأما مطلقاً : لتكرره على الحس ، كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة ، فإن قرب المناسبة والتكرر فكل واحد منهما يعارض التفصيل ، لاقتضائه سرعة الانتقال .

---

(١) الإجّاصة واحدة الإجاص وهو : شجر له ثمر لذيذ الطعم .

تحويل القريب إلى بعيد :

وقد يتصرف فى القريب المبتذل إلى الغرابة وهو على وجوه .

١ — منها أن يكون كقول أبي الطيب :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا
إلا بوجه ليس فيه حياء

التشبيه فى البيت ضمنى ، لأن وجه الممدوح إذا كان أعظم من الشمس فى الضياء لزم اشتراكهما فى أصله ، فيثبت التشبيه ضمنا ، وكأنه قال هذا الوجه كالشمس فى أصل الحسن فقط ، فتشبيه الوجه بالشمس مبتذل لكن حديث الحياء فى هذا البيت نقل التشبيه من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة .

وكذلك قول أبي تمام :

فردت علينا الشمس والليل راغم
بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما أدرى أأحلام نائم
ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

الراغم . اسم فاعل من — رغم — كفرح وكرم بمعنى ذل ، وحصل هذا لليل لزاوله بطلوعها ، والضمير فى (لهم) للخليط فى البيت قبلهما ، وهو يطلق على الواحد والجمع . والخدر . الستر الذى يمد للجارية ، أو يفرد لها من السكن أو كل ما يتوارى به — وقوله (ألمت) بمعنى نزلت ، وهو يشير بقوله « أم كان فى الركب يوشع » إلى قصة يوشع مع الشمس ، وهو يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روى أنه

قاتل الجبارين يوم الجمعة . فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب ، قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا الله فرد الشمس حتى فرغ من قتالهم ، فتشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل لكن ذكر التشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام أخرجه من الابتذال إلى الغرابة، وشبيه بقول أبي الطيب — قول أبي نواس .

إن السحاب لتستحى إذا نظرت إلى نداك فقاسته بما فيها

والندى : الكرم والمعنى : أن السحاب تستحى إذا شبهنا كرمك بمطرها لأن كرمك أعظم من مطرها ، وفى هذا تشبيه ضمنى فتشبيه الكرم بالمطر قريب مبتذل لكن ذكر الحياء فى هذا البيت نقله من الابتذال إلى الغرابة .

٢ — ومنها التشبيه المشروط :

سمى هذا التشبيه مشروطا لوجود الشرط فيه . والشرط ينقل التشبيه من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة .

كما فى قول بديع الزمان الهمذانى :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا
لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت
والأسد لولم تصد والبحر لوعذبا

الغيث : المطر . وصوبه : عطاؤه ، والمحيا : الوجه ضاحكه . فتشبيه الممدوح بالمطر وبالبدر وبالشمس وبالأسد والبحر قريب مبتذل ولكن اقتران كل تشبيه بالشرط « لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا » و « لو لم يغب

«ولو نطقت» ولو لم تصد ، «ولو عذبا» أخرج التشبيه من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة .

ومن هذا النوع قول رشيد الدين الوطواط .

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات أفول

فتشبيه العزمات بالنجوم الثواقب قريب مبتذل ووجود الشرط (لو لم يكن للثاقبات أفول) أخرجه من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة .

٣ — وقريب منه قول أبي تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس

قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

والمها: بقر الوحش واحده ، مهاة ، واسم الإشارة — هاتا — يعود إلى النسوة المشبهات ، والقنا: الرماح واحده قناة . والخط: إسم بلد تصنع فيها . والذوابل : الجافة ، واسم الإشارة «تلك» يعود إلى «القنا» يعني . أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة فتشبيه النسوة ببقر الوحش وتشبيه القدود بالرماح قريب مبتذل لكن وجود أداة الاستثناء «إلا» بعد كل تشبيه أعطاه ملاحة وأخرجه من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة .

٤ — وقد يكون التشبيه قريبا مبتذلا فإذا قلب انتقل من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة كما في قول البحتري .

في طلعة البدر شيء من محاسنها

وللقضيب نصيب من تثنيها

والمحاسن جمع «حسن» على غير قياس ، لأنه لا واحد له من لفظه ، والقضيب ، الغصن ، والمراد من التثني . التمايل والتبختر .

وكما في قول ابن بابك :

ألا يارياض الحزن منْ أبرق الحمى
نسيمك مسروق ووصفك منتحل

حكيت أبا سعد فنشرك نشره
ولكن له صدق الهوى ولك الملل

الحزن : الأرض الغليظة . وأبرق الحمى : موضع . ونسيمها : رائحتها . ووصفها : نضارتها وبهجتها . والمنتحل اسم مفعول من — انتحل كذا — بمعنى ادعاه لنفسه وهو لغيره . والنشر . الرائحة . وصدق الهوى . ثباته . والملل . السأم يريد به سرعة زوال نضرتها . من إطلاق السبب ، وارادة المسبب ، والغرابة فيه ناشئة من قلب التشبيه أيضا ، وكذلك لفظ «مسروق» والانتحال ، وصدق الهوى والملل كل هذه الألفاظ ألقت ظلالا على التشبيه نقلته من الابتذال والقرب إلى البعد والغرابة .

٥ — وقد يخرج التشبيه من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله .

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

١ — ومما يزيد التشبيه لطفا وغرابة ودقة وسحرا الجمع بين عدة تشبيهات مثل قول امرىء القيس :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

أيطلا ظبي : خاصرتاه . والسرحان : الذئب . وارخاؤه : جريه في سهولة . والتتفل : ولد الثعلب وتقريبه : عدوه ، وإنما زاد التشبيه جمالا لتعدد المشبه والمشبه به فيه .

٢ — البعيد الغريب

والتشبيه البعيد الغريب . هو مالا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه فى بادىء الرأى وسبب خفائه أمران .

الأمر الأول :

كون وجه الشبه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، فإن وجه الشبه هو هيئة الحركة مع الاستدارة والاضطراب والتموج وهذا لايقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملا ، ويكون فى نظره متمهلا .

الأمر الثانى :

ندور حضور المشبه به فى الذهن ، إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما ، كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت .

وأما مطلقا ، لكونه وهميا ، أو مركبا خياليا ، أو مركبا عقليا .

فمثال : المشبه به الوهمى قول امرىء القيس .

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ومثال : المركب الخيالى كما فى قول الصنوبرى :

وكأن محمر الشقيـــ ـــق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

ومثال : المركب العقلى . قوله تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) فإن كلا من الوهمى والخيال والعقلى سبب لندرة حضور المشبه فى الذهن .

وقد تكون الغرابة ناشئة من قلة تكرار المشبه به على الحس كما في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل ، فانه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة في يد الأشل.

فالغرابة والبعد في قوله. والشمس كالمرآة في كف الأشل ناشئة من وجهين. كثرة التفصيل وقلة تكرره على الحس.

التفصيل في التشبيه الغريب البعيد

والمراد بالتفصيل أن ينظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر ، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلب والأعرف منها وجهان .

أحدهما : أن تأخذ بعض الأوصاف وتدع بعضها كما فعل امرؤ القيس في قوله .

حملت ردينيا كأن سنانه سنالهب لم يتصل بدخان

ففصل الدخان عن الضوء ، وأثبته مفردا فزاد السنا أي الضوء بهذا تألقا وضياء .

والثاني : أن يعتبر الجميع كما فعل الآخر في قوله .

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

فانه اعتبر من الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعهما على المسافة في القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحية .

ويرى الشيخ عبد القاهر . أنه(١) كلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله تعالى . (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من

---

(١) انظر أسرار البلاغة ص ١٠٢ — ١٦٩

السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)(١) .

فإنها عشر جمل إذا فصلت، وتفصيلها . أنزلناه — فاختلط — مما يأكل — حتى إذا أخذت — وازينت — وظن — أنهم قادرون — أتاها — فجعلناها — كأن لم تغن .

وهذه الجمل وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة ، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالمغزى من التشبيه ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها . أن الجملة إذا وقعت في جانب المشبه به تكون على وجوه . أحدها أن تلي نكرة فتكون صفة لها . كما في هذه الآية . وعليه قول النبي ﷺ . الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة) .

والثاني : أن تلي معرفة هي اسم موصول فتكون صلة له . كقوله تعالى . (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) الآية :

والثالث : أن تلي معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافا كقوله تعالى . (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فقوله (كمثل العنكبوت) يشير الى سؤال تقديره . ما مثله ؟ فيكون قوله . (اتخذت بيتا) جوابه .

ومن أبلغ الاستقصاء وعجيبه قول ابن المعتز :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى   نطير غرابا ذا قوادم جون

(١) سورة يونس آية ٢٤

والدجى . جمع دجية وهى . الظلمة . والقوادم . أوائل ريش الطائر. والجون . جمع جون وهو . الأبيض أو الأسود والمراد هنا . الأبيض شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن يكون قوادم ريشها بيضاء .

فضوء الصبح يلى ظلام الليل كذلك بياض القوادم تلى سواد الغراب ، ويكون الصبح وهو يلى ظلام الليل منظر فى العين كشكل قوادم بيض .

وتمام التدقيق فى هذا التشبيه، أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ،ودفعه لظلام الليل ، كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ، ولا يرضى منها بأن تتمهل فى حركتها ، ثم لما راعى ذلك فى التشبيه ابتداء راعاه آخرا حيث قال «نطير غرابا» ولم يقل . «غراب يطير نحوه» ، لان الطائر اذا كان واقعا فى مكان فأزعج وأثير منه ، أو كان قد حبس فى يد أو قفص ، فأرسل كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه ، وحافزا له على الاستمرار على الطيران حتى يصير إلى حيث لا تراه العين ، بخلاف ما إذا طار على اختيار فانه حينئذ يجوز ألا يسرع فى طيرانه ، وأن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وانظر إلى قول أبى نواس فى صفة البازى :

كأن عينيه إذا ما أثأرا فصان قيضا من عقيق أحمرا

فى هامة غلباء تهدى منسرا كعطفة الجيم فى كف أعسرا

أثأرا : أدرك ثأره : قيضا . شقا . الهامة : رأس كل شىء وتطلق على الجثة . والغلباء : القوية . تهدى : تتقدم . والمنسر كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح . وعطفة الجيم . خطها الأعلى والأعسر : الذى يعمل بشماله .

وغير خاف أن الجيم خطان . أولهما . الذى هو مبدؤه وهو الأعلى ، والثانى . الذى يذهب إلى اليسار ، وإذا لم يوصل بها حرف آخر بأن كانت مفردة أو آخر كلمة فيكون لها تعريق . والتعريق هو أن يعطف بالخط الأسفل إلى اليمين على هيئة قوس كما هو الشأن دائما فى الجيم المفردة .

والمنقار . إنما يشبه الخط الأعلى فقط ، فلهذا قال . « كعطفة الجيم » ، ولم يقل . « كالجيم » ثم دقق بأن جعلها بكف أعسر ، لأن جيم الأعسر يقال . إنه أشبه بالمنقار من جيم الأيمن ، لأن الحركة في جيم الأعسر أكثر انحرافا .

ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من الجيم فقال :

يقول مَن فيها بعقل فكرا

لو زادها عينـــا إلى فاء ورا فاتصلت بالجيم صارت جعفرا

فأوضح أنه لم يدخل التعريق في التشبيه ، لأن الوصل يسقطه أصلا .

ولم يدخل أيضا في التشبيه الخط الأسفل، وان كان لابد منه مع الوصل، لانه قال . « فاتصلت بالجيم » أي بالعطفة المذكورة ، فلو كان الخط الأسفل داخلا في التشبيه لم يقل ذلك . لأن العطفة مع ذلك الخط لا تحتاج في اتصالها بغيرها الى واسطة ولكان اقتصر على قوله . (لو زادها عينا إلى فاء ورا) .

ولأجل هذا التدقيق قال . « يقول من فيها بعقل فكرا » فنبه على أن بالمشبه حاجة الى فضل فكر ، وأن يبذل جهدا عقليا في تحقيق التشبيه .

موازنات

وإذا كان التفصيل أو ندرة حضور المشبه عند ذكر المشبه به مما يزيد التشبيه جمالا كان قول امرىء القيس . في وصف السنان :

حملت ردينيا كأن سنانه سنالهب لم يتصل بدخان

أعلى طبقة من قول عنترة بن شداد العبسي :

يتابع لا يبتغي غيره بأبيض كالقبس الملتهب

لخلو الثاني عن التفصيل الذي تضمنه الأول ، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا ، وتصويره مقطوعا عن الدخان ومعلوم أن هذا لا يقع في الخاطر لأول وهلة ، بل لابد فيه من أن يتثبت ، وينظر في حال كل من الفرع والأصل . حتى يقع في النفس أن في الأصل شيئا يقع في حقيقة التشبيه . وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة وكذا قول أبي طالب الرقي .

وكأنّ أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

أفضل من قول ذى الرمة .

كحلاء فى برج صفراء فى نعج كأنها فضة قــد مسها ذهب

لأن الأولى مما يندر وجوده دون الثانى ، فإن الناس أبدا يرون فى الصياغات فضة قد موهت بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق .

والبرج . أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله لايغيب من سوادها شيء ، أو نجل العين وسعتها ، والنعج . البياض الخالص، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص وهو محمود عندهم .

وكذا بيت بشار .

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليـل تهاوى كواكبه

أعلى طبقة من قول أبى الطيب .

يزور الأعادى فى سماء عجاجة أسنته فى جانبيها الكواكب

العجاجة . الغبار . والأسنة . جمع سنان وهو نصل الرمح .

وكذا أعلى طبقة من قول كلثوم بن عمرو .

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه البيض المباتير

والسنابك . جمع سنبك وهو طرف الحافر ، وقوله . « سقفا » بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبيض المباتير هى السيوف القواطع ، والمباتير . جمع مبتار صيغة مبالغة من « بتر » بمعنى قطع .

وكان قول بشار أعلى طبقة من قول أبى الطيب وقول كلثوم بن عمرو لأن كل واحد منهما ، وأن راعى التفصيل فى التشبيه ، فإنه اقتصر على أن

أراك لمعان الأسنة والسيوف فى أثناء المجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها ، وهى تعلو وترسب وتجئ وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلا ، لأنها لا تقع فى النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن السيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها فى الضرب اضطرابا شديداً وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، ثم هى باختلاف هذه الأمور تتلاقى ، ويصدم بعضها بعضا ، ثم أشكالها مستطيلة . فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قوله (تهاوى) ، لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها ، ثم كان لها فى التهاوى ، تواقع وتداخل ثم استطالة أشكالها .

وقال عبد الله بن المعتز فى الآذريون .

سقياً لروضات لنا من كل نور حاليه
عيون آذريونهـــا للشمس فيها كاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

والنور . الزهر . والآذريون . ورد له أوراق حمر فى وسطه سواد له نبو وارتفاع ، وقد يكون أصفر ، وهو . معرب آذرجون أى لون النار . وكالية . اسم فاعل من (كلأ) ومعنى كلاءتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت ، والمداهن جمع . مدهن وهو . حق الدهن . والغالية أخلاط من الطيب . وابن المعتز إذ يشبه الآذريون بمداهن من ذهب فيها بقايا — فهو أعلى وأفضل من تشبيهه الآخر فى قوله .

وطاف بها ساق أديب بمبذل كخنجر عيار صناعته الفتك
وحمل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق فى قرارتها مسك

والمبزل ما يصفى به الشراب ، وهو . شبه حلمة الضرع فى الدن ونحوه يسيل الشراب منه ، والعيار . الكثير التجول والطواف أو الذى يتردد بلا عمل ، ووجه الشبه بين المبزل والخنجر الاعوجاج فيهما — ومن عادة الفرس أنهم يحطون الورد فوق آذانهم . والعقيق . خرز أحمر. وكان القول الأول أفضل من الثانى ، لأن السواد الذى فى باطن الآذريونة الموضوع بإذائه الغالية والمسك فيها أمران .

أحدهما أنه ليس بشامل لها .

والثانى . أنه لم يستدر فى قعرها بل ارتفع منه حتى أخذ شيئا من سمكها من كل الجهات ، وله فى منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب المدهن ، إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع ، وقوله . (فى قرارتها مسك) — فى القول الثانى — يوضح الأمر الأول أى . أن المسك ليس بشامل لها ويؤمن من دخول النقص عليه ، ولو قال . « فيها مسك » ولم يشترط أن يكون فى القرارة ، لكانت العبارة غير وافية بالمعنى المراد .

والقول الثانى لايدل أيضاً على ما يدل عليه قوله فى القول الأول «فيها بقايا غالية » ، لأن من شأن المسك والشىء اليابس إذا حصل فى شىء مستدير له قعر أن يستدير فى القعر ، ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخذ بالأصابع ، فلابد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم ، وذلك أصدق للشبه(١) .

---

(١) الإيضاح مع البغية جـ ٣ صـ ٧٢

التشبيه البليغ

يرى الشيخ عبد القاهر ويتابعه الخطيب . أن التشبيه البليغ ما كان من التشبيه البعيد الغريب ، وحجتهما أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى ، وموقعه ألطف وبالمسرة أولى ويفرّقان بين إعمال الفكر في الغوص على المعانى اللطيفة والأسرار الدقيقة وبين كد الذهن وإعمال الفكر الذى سببه التعقيد الناشيء من سوء ترتيب الألفاظ ، واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ .

فهذا النوع مذموم لأنه جهد بلا فائدة .

أما إعمال الفكر فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعانى على بعض ، فإن المعانى الشريفة لابد فيها فى غالب الأمر من بناء ثان على أول ورد تال إلى سابق كما فى قول البحترى .

دان على ايد العفاة وشاسع عن كل ند فى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

فانك تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز فى كونه دانيا وشاسعا ، ثم تعود إلى ما يعرضه البيت الثانى عليك عن حال البدر ، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى ، وتنظر كيف شرط فى العلو الافراط ليشاكل قوله . «شاسع» لأن الشسوع . هو الشديد فى البعد ، ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب ، فقال .

«جد قريب» ، فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر وهل شيء أحلى من الفكر إذا صادف نهجا قويما إلى المراد :

هذا والمشهور أن التشبيه البليغ هو المحذوف الأداة ووجه الشبه مثل « زيد أسد » وقالوا إن حذف الأداة يخيل أن المشبه عين المشبه به وحذف وجه الشبه يجعل النفس تذهب فيه كل مذهب ويخيل لها أن المشبه يشبه المشبه به من جهات كثيرة .

أدوات التشبيه

أدوات التشبيه : هي ألفاظ تدل على المماثلة والاشتراك كالكاف، وكأنّ ومثل وشبه ، ويشبه ويشابه ، ويماثل، ويحكى ، ويضارع ، وعلمت وحسبت وما يشتق منها .

وهي : حرفان ، وأسماء ، وأفعال .

١ — فالحرفان هما : الكاف وكأنّ .

(أ) الكاف ، وهي الأصل لبساطتها ، والأصل فيها أن يليها المشبه به كقول امرىء القيس :

فعيناك غربا جدول في مفاضة كمر الخليج في صفيح مصوب

يقول : عيناك تسيلان بالدموع حزنا لفراقهم كما يسيل غربا جدول ، والغربان . الدلوان والمفاضة . الأرض الواسعة . والجدول . النهر الصغير ، وأراد به البئر هاهنا . والخليج : النهر الذي يتفرع من النهر الأعظم ، وإنما أراد به ههنا مجرى الماء إلى الروضة . والصفيح . حجارة واسعة تجعل على جنبي الجدول لئلا يتهدم ، وإنما جعل الصفيح مصوبا . لأنه أسرع لجرى الماء فيه . والمصوب . المنحدر ، وإنما أشار إلى كثرة دموعه ، وسرعة سيلانهما . والمشبه العينان وقد سالت بالدموع وأداة التشبيه « الكاف » محذوفة والمشبه به . غربا جدول ووجه الشبه الكثرة في كل ، ثم عاد فشبه سرعة جريان الدموع من العينين — وأداة التشبيه « الكاف » والمشبه به سرعة مر الماء في الخليج المنحدر ووجه الشبه سرعة الانهمال والسيلان .

وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به وذلك إذا كان المشبه به مركبا كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح)(١) فليس المراد من الآية الكريمة تشبيه حال الدنيا بالماء ، بل المراد تشبيه حالها في نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بالهيئة الحاصلة من كون النبات بعد نزول الماء من السماء شديد الاخضرار والنضارة ، ثم بعد ذلك الاخضرار تراه ييبس فتطيره الرياح ، فيصير المكان خاليا منه ، ويكون منعدما كأن لم يكن ، ووجه الشبه . التلف والهلاك عقب الإعجاب والاستحسان .

(ب) كأن . قيل : هي بسيطة، وقيل إنها مركبة من الكاف ومن «أن» المشددة . والأقرب الأول لجود الحروف وإذا دخلت الكاف على «أن» فصل بينها وبين «أن» «بما» فيقال مثلا: زيد قائم كما أن عمرا قائم، لئلا يقع اللبس بينها ، وبين «كأن» التي هي من أخوات «إن» .

وكأن يليها المشبه كقول امرىء القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

السمر . شجر الصمغ العربي . والناقف . المستخرج حب الحنظل . والحنظل له حرارة تدمع منها العين، فالمشبه جريان دمعه لفقد الأحبة وأداة التشبيه (كأن) والمشبه به جريان الدمع من عين ناقف الحنظل ووجه الشبه حرارة الدمع وعدم القدرة على تملكه في كل .

وكأن هذه قيل أنها تكون مع الخبر المشتق للشك ، وتكون مع غيره للتشبيه على أصلها ، فإذا قلت : كأن زيدا أسد « فهو لتشبيه زيد بالأسد ،

---

(١) سورة الكهف آية ٤٥

وإذا قلت : « كأن زيدا قائم » فالمعنى أنك تشك فى قيامه ، لأن « قائما » صادق على زيد . ولا معنى لتشبيه الشيء بنفسه (١) .

ومن أدوات التشبيه لفظ « مثل » كقولك . زيد مثل عمرو ، وكذلك ما فى معنى « مثل » مما يشتق من المماثلة ، ومايؤدى هذا المعنى كالمضاهاة ، والمحاكاة ونحو ذلك . كقولك . زيد يضاهى أو يشبه أو يحاكى أو يماثل أو مضاه أومشبه أومحاك عمرا فكل ذلك يفيد التشبيه .

وأدوات التشبيه تختلف فى الدلالة فما كان من التشبيه صادقا قلت فى وصفه . كأنه ، أو قلت . كذا ، وماقارب المصدق قلت فيه . تراه ، أوتخاله ، أو يكاد ، فمن التشبيه الصادق قول امرىء القيس :

نظرت إليها والنجوم كأنها ... مصابيح رهبان تشب لقفال

فشبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها ، وتعهد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل ، وتتضاءل للصباح كتضاؤل المصابيح له . وقال : « تشب لقفال » لأن أحياء العرب فى البادية إذا قفلت إلى مواضعها التى تأوى إليها من مصيف إلى مشتى ، ومن مشتى إلى مربع، أوقدت نارا على قدر كثرة منازلها وقلتها ليهتدوا بها .

فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها فى مكان بعد مكان ، على حسب منازل القفال من أحياء العرب ، ويهتدى بالنجوم كما يهتدى القفال بالنيران الموقدة لهم(٢) .

---

(١) مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح لأبى يعقوب المغربى ص٢٨٦ جـ ٣ ضمن شروح التلخيص .

(٢) انظر عيار الشعر ص ٢٤ بتحقيق الدكتورين طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام (المكتبة التجارية — القاهرة ١٩٥٦ م) .

تقسيم التشبيه باعتبار أداته إلى مرسل ومؤكد

ينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل ومؤكد .

١ — المرسل :

هو الذى ذكرت فيه الأداة ، كقوله تعالى. (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون)(١)

تقديره : إن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا فى ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله . فاتقى ما يخاف وأمن . فبينما هو كذلك انطفأت ناره فبقى مظلما خائفا ، وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الإيمان استنار بها ، واعتز بعزها . وأمن على نفسه وماله وولده ، فإذا مات عاد إلى الخوف وبقى فى العذاب والنقمة(٢) . وكاف التشبيه مذكورة .

ومنه قوله تعالى : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)(٣) فالمشبه عرض الجنة والمشبه به عرض السماء والأرض ، ووجه الشبه السعة والعظم. وكاف التشبيه مذكوره ومنه قول النبى ﷺ : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب . ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر » وواضح أن أداة التشبيه مذكورة .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧ .
(٢) المثل السائر القسم الثانى ص ١٣٩
(٣) سورة الحديد آية ٢١

ومنه قول امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أومساويك إسحل

وتعطو بمعنى تتناول. والرخص اللين وصف لأصبعها،والشثن: الغليظ، والأساريع: جمع أسروع وهو دود يكون فى البقل والأماكن الندية ،تشبه به أنامل النساء فىأيام امرىء القيس ، ظبي ، اسم موضع ، والإسحل شجر له غصون يستاك بها، وهذا من التشبيهات التى رغب المحدثون عنها . وهو تشبيه مرسل لوجود أداة التشبيه «كأن» .

وقال البحترى .

وإذا الأسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب فى الماء

الضمير فى «خالطتها» يعود إلى الدروع ، وفى «خلتها» للأسنة،والأسنة، الرماح . يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين يبدو فى الماء ، لأن الأسنة تكون لامعة كالكواكب ، والدروع تكون صافية كالماء .

٢ — التشبيه المؤكد .

وهو ماحذفت أداته ،كقوله تعالى . (وهى تمر مرالسحاب(١)) والتقدير وهى تمر كمر السحاب ، أى تمر مر السحاب .

وقوله تعالى . (يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا(٢)) فالمشبه النبى ﷺ ، وأداة التشبيه محذوفة والمشبه به السراج المنير والتقدير هو كالسراج المنير ، ووجه الشبه أن كلا يعيش لغيره أو يحترق لينفع غيره .

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ (٢) سورة الأحزاب آية ٤٥،٤٦

وقال الحماسي [زياد بن حمل] .

هم البحور عطاء حين تسألهم وفى اللقاء إذا تلقى بهم بُهَمُ

والبهم واحده بهمة وهو الشجاع الذى لايدرى كيف يؤتى لاستبهار شأنه فالمشبه «هم» والمشبه به «البحور» وأداة التشبيه محذوفة فالتشبيه مؤكد، ووجه الشبه العطاء والكرم ، ثم يشبههم مرة أخرى بالبهم ووجه الشبه الشجاعة والجرأة .

ومنه قوله ابن خفاجة الأندلسى .

والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين المـــاء

والأصيل ما بين العصر والمغرب ، واللجين : الفضة ، والمشبه الماء والمشبه به اللجين وقد أضيف المشبه به إلى المشبه . والتقدير . جرى ذهب الأصيل على ماء كاللجين أى كالفضة . وذهب الأصيل استعارة أى. شعاع شمس الأصيل تسلط على ماء كالفضة ،

ومنه قول حمد الصقلى يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار .

كأنما أدهم الإظلام حين نجـــا
من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

والأدهم : الفرس الأسود . والأشهب . الفرس الأبيض ، والمراد . تشبيه الليل بالفرس الأدهم ، والصبح بالفرس الأشهب. والقمر قبل السرار بالنعل الذى يكون فى رجل الفرس لمشابهته له فى الدقة والانعطاف ، وقد جرى فى التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه أيضاً ، و « نعل حافره » استعارة لحذف المشبه وهو القمر قبل السرار . والتشبيه فى البيت مؤكد .

ومنه قول الشريف الرضى .

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت حوامل المزن فى أجداثكم تضع

ولا يزال جنين النبت ترضعه على قبوركم العراضة الهمع

أرسى . بمعنى ثبت . وهى جملة دعائية ، والمزن . السحاب ذو الماء ، والأجداث . القبور . العراضة السحاب العريض . الهمع ، الماطر ، يريد . مزن كالحوامل . ونبت كالجنين فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد لجين الماء ، والتشبيه مؤكد لحذف الاداه .

أغراض التشبيه

الغرض من التشبيه يعود فى الاغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

(أ) ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه .

١ - بيان إمكان وجود المشبه وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى استحالته .

كما فى قول أبى الطيب .

فإن تفق الانام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فإن أبا الطيب أدعى أن الممدوح تناهى فى الصفات الفاضلة إلى حد صار به كأنه ليس من الأنام ، وتناهى بعض النوع الواحد فى الفضيلة إلى حد يصير به كأنه نوع آخر ، أمر يحتاج من يدعيه إلى إثبات إمكانه ، فلذلك قال : فإن المسك بعض دم للغزال ، ومع ذلك قد تناهى فى الصفات الشريفة إلى حد يتوهم لاجله أنه نوع غير الدم وكان العرب القدماء يعتقدون ذلك .

والتقدير . فحالك كحال المسك ، والتشبيه فى البيت ليس لفظيا بل هو.

ضمنى أو معنوى ، ووجه الشبه قد يفوق بعض الأفراد جنسه حتى يصير كأنه جنس برأسه . فالغرض من التشبيه كما هو واضح بيان إمكان المشبه .

ومثله قول ابن الرومى .

قالوا :

أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمرى ولكن منه شيبان

كم من أب قد علا بابن ذرا شرف كما علا برسول الله عدنان

فالمشبه أبو الصقر وقد شرفت به قبيلته لما يتمتع به من الخصال النبيلة ، والمشبه به رسول الله ﷺ وقد شرفت به عدنان أى العرب قاطبة والعادة أن يشرف الفرع بالاصل .

٢ - بيان حال المشبه بأنه على أى وصف من الأوصاف للجهل به عند السامع كقول الشاعر .

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأناك انخفاض وارتفاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

دنوت : قربت ، وتواضعا : مفعول لأجله ، وتسامى : أى تغالب فى سمو قدرها ورفعة منزلتها ، والمشبه فى هذين البيتين الممدوح ، والمشبه به الشمس ، وكل منهما حسى ، ووجه الشبه قرب النوال مع بعد المنال ، والغرض من التشبيه بيان حال المشبه .

وقال الاعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

الريث . البطء . والمشبه مشية المرأة من بيت جارتها حين تزورها ، والمشبه به مرور السحابة التى تحمل المطر ، والغرض من هذا التشبيه بيان حال المشبه .

٣ - بيان مقدار حال المشبه فى القوة والضعف والزيادة والنقصان كما فى قول الحسن بن وهب :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كمرهفة الحداد

والخافية إحدى ريشات عشر فى مقدم الجناح يقال لها خواف ، والمرهفة ، المدققة ، والحداد جمع حديد ، وهو القاطع يعنى السيوف القواطع فالمشبه مداد وأداة التشبيه مثل ، والمشبه به خافية الغراب ووجه الشبه السواد ، والغرض من التشبيه بيان مقدار حال المشبه

ومنه قول البحترى .

ذات حسن لو استزادت من الـ حسن إليه لما أصابت مزيدا

فهى كالشمس بهجة ، والقضيـ ب اللدن قداً والريم طرفاً وجيدا

مزيدا . بفتح الميم . الزيادة : والقضيب : الغصن ، واللدن : الطرى المتأود المتمايل ، والريم - بكسر الراء - ولد الظبية . والطرف - بالفتح - العين : والجيد : العنق والمشبه : المرأة . والمشبه به متعدد وهو . الشمس ، والغصن والغزال ووجه المشبه مذكور فى البيتين ، والغرض من التشبيه بيان مقدار حال المشبه .

٤ - تقرير حال المشبه فى نفس السامع وتقوية شأنه كما فى تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء . فإنك تجد فيه من تقرير عدم الفائدة، وتقوية شأنه مالا تجده فى غيره ، لان المحسوس أقوى من العقلى ، لتقدم الحسيات وفرط إلف النفس بها .

وهذه الأغراض تقضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم وهو به أشهر، لأن التعريف إنما يكون بالأوضح . ومن التشبيه ما يكون المشبه فيه أتم من

المشبه به ، كقوله تعالى ، (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)(١)

ومن ذلك قول أبي تمام في أحمد بن المعتصم .

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

وقد أخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بالثلاثة ، فقال :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

ولكن مثل هذا لا يخضع لقاعدة أن المشبه به يجب أن يكون أعرف وأوضح في وجه الشبه .

والنقاد يتمسكون بأعرفية المشبه به ولذلك ضعفوا قول البحتري :

على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد

وقنسرين ، كورة مشهورة بالشام قرب حلب ، والشاعر ، شبه ظلمة الليل بالمداد ، والأصل أن يشبه المداد بالليل ، لان الظلمة أصل في السواد ، أما المداد فليس كذلك لأنه ربما يوجد مداد فاقد اللون فالليل بالسواد وشدته أحق وأحرى ، ولهذا أصاب ابن الرومي حينما قال

حبر أبي حفص لعاب الليل يسيل للأخوان أي سيل

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، والمراد بلعاب الليل ظلمته

٥ - تزيين المشبه للترغيب فيه ، وذلك كقول الشاعر :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(١) سورة النور آية ٣٥

٦ — تشويه المشبه وتقبيحه ، وذلك كقول الشاعر :

وإذا أشار محدثا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقوله :

وترى أناملها دبت على مزمارها ... كخنافس دبت على أوتار

٧ — استطراف المشبه — أى عده طريفا حديثا — بحيث يجىء المشبه به طريفا غير مألوف للذهن .

إما لإبرازه فى صورة الممتنع عادة ، كما فى تشبيه ، فحم فيه جمر متقد ببحر من السمك موجه الذهب ، ومنه قوله :

وكأن محمر الشقيـ ... ـق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

وإما لندور حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه كقوله :

أنظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

ومنه قوله :

ولا زوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار فى أطراف كبريت

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها فى الذهن ندرة بحر من المسك موجه الذهب وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا أحضر مع صحة المشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما .

ومما يؤيد هذا ما يحكى أن جريرا قال : أنشدنى عدى :

عرف الديار توهما فاعتادها

فلما بلغ إلى قوله :

تزجى أغنّ كأنّ إبرة روقه

رحمته وقلت : قد وقع ما عساه يقول وهو أعرابى جلف جاف ؟

فلما قال :

قلم أصاب من الدواة مدادها

استحالت الرحمة حسدا . فهل كانت رحمته فى الأولى والحسد فى الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبه، وحين أنه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف(١) .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجها آخر ، وهو أنه أراك شبها لنبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع ، وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر(٢) .

(ب) ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه :

١ — إيهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه المشبه، وذلك فى التشبيه المقلوب، وهو أن يكون الأمر بالعكس بأن يجعل فيه المشبه مشبها به قصدا إلى ادعاء أنه أكمل منه فى وجه الشبه كقول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأن غرته   وجه الخليفة حين يمتدح

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء .

---

(١) بغية الإيضاح ج ٣ ص ٤٣

(٢) أسرار البلاغة ١٤٧

ومنه قوله تعالى حكاية عن مستحل الربا . (إنما البيع مثل الربا(١)) فإن الظاهر أن يقال : « إنما الربا مثل البيع » إذ الكلام فى الربا لا فى البيع فستحلوا الربا بالغوا فى كلامهم وجعلوا الربا فى الحل أقوى حالا من البيع وأعرف به .

٢ — وقد يكون الغرض العائد إلى المشبه به بيان الاهتمام به كتشبيه الجائع وجها كالبدر فى الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهارا للاهتمام بشأن الرغيف .

التشابه

عرفنا فى التشبيه أن الأدنى يلحق بالأعلى ، والمجهول بالمعلوم ، والخفى بالجلى ، والناقص بالكامل وذلك على اعتبار أن وجه الشبه يكون أوضح وأتم فى المشبه به منه فى المشبه فإذا أريد مجرد الجمع بين شيئين فى أمر من الأمور من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصا والآخر زائدا ، فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبى إسحاق الصابى :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت ... جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

لما اعتقد التساوى بين الدمع والخمر ترك التشبيه إلى التشابه ومن التشابه قول الصاحب بن عباد :

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٧٥

ويجوز عند إرادة الجمع بين شيئين فى أمر التشبيه أيضا ، لأنهما وإن تساويا فى وجه الشبه بحسب قصد المتكلم إلا أنه يجوز له أن يجعل أحدهما مشبها به لغرض من الأغراض وسبب من الأسباب ، مثل زيادة الاهتمام ، كتشبيه غرة الفرس بالصبح ، وتشبيه الصبح بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه من غير قصد إلى المبالغة فى وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ ونحو ذلك ، إذ لو قصد ذلك لوجب جعل الغرة مشبها ، والصبح مشبها به ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة .

كما قال عبد الله بن المعتز :

وكأن الشمس المنيرة دينا ... ر جلته حدائد الضراب

وتشبيه المرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس متى أريد استدارة متلألئ متضمن الخصوص فى اللون ، وإن عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ، ونور الشمس ونور المرآة والدينار ، وبين الجرمين ، فإنه ليس شىء ذلك بمنظور إليه فى التشبيه : وعلى هذا ورد تشبيه الصبح فى الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز :

والليل كالحلة السوداء لاح به ... من الصباح طراز غير مرقوم

فإنه تشبيه حسن مقبول ، وإن كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديدا .

التشبيه الضمنى

هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به ، فى صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمح المشبه والمشبه به ، ويفهمان من المعنى ، ويكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه كقول أبى تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى   فالسيل حرب للمكان العالى

يقول أبى تمام لمن يخاطبها : لا تستنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجيبا ، لأن قمم الجبال وهى أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقر فيها ماء السيل ، فهو يشبه ضمنا الرجل الكريم المحروم من الغنى بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل ، ولكنه لم يصنع ذلك صريحا بل أتى بجملة مستقلة ، وضمنها هذا المعنى فى صورة برهان .

ومنه قول أبو الطيب :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيـــلام

يقول : إن الذى اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألم له ، وليس هذا الادعاء باطلا ، لأن الميت إذا جرح لا يتألم ، وفى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحة .

فالمشبه من اعتاد الهوان فسهل عليه تحمله والمشبه به الميت لا يتألم إذا جرح .

تقسيم التشبيه باعتبار الغرض

إلى مقبول ومردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض . إلى حسن مقبول ، وإلى قبيح مردود :

١ — فالحسن المقبول :

هو ما وفى بالأغراض السابقة ، كأن يكون المشبه به أعرف من المشبه فى وجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار ، أو أن يكون أتم شيء فى وجه الشبه إذ قصد إلحاق الناقص بالكامل ، أو أن يكون فى بيان الإمكان مسلم الحكم ، ومعروفا عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود ، وهذا هو الأكثر فى التشبيهات ، إذ هى جارية على الرشاقة ، سارية على الدقة والمبالغة .

٢ — والقبيح المردود :

هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه ، لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به ، أو مع وجوده لكنه بعيد .

ومن المشبه المردود قول الكميت :

كأن الغطامط من غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا(١)

فقال نصيب للكميت : أخطأت ، ما هجت أسلم غفارا قط ، وأراد من الكميت أن يكون التشبيه بشيء واقع معروف ، والغطامط : صوت غليان القدر ومن بعيد التشبيه ما قاله الفرزدق :

---

(١) فى لسان العرب : مادة (غطمط) أسلم وغفار : قبيلتان ، كانت بينهما مهاجاة ، ص ٣٢٧٣ دار المعارف ، وفى ذلك دفاع عن الكميت .

يمشون فى حلق الحديد كما مشت   جرب الجمال بها الكحيل المشعل

الكحيل : النفط أو القطران يطلى به الإبل ، وأشعل إبله بالقطران : كثره عليها، فشبه الرجال فى دروع الزرد بالجمال الجرب ، وهذا من التشبيه البعيد ، لأنه إن أراد السواد فلامقاربة بينهما فى اللون ، فإن الحديد أبيض ، ومع مافيه من البعد ، ففيه أيضا سخف وغثاثة .

ومن ردىء التشبيه قول المرار :

وخال على خديك يبدو كأنه   سنا البدر فى دعجاء باد دجونها

الدعجاء : السواد صفة لموصوف محذوف تقديره . ليلة ، ودجونها : سوادها .

ورداءة هذا التشبيه تأتى من ناحية أن الخدود بيض والمتعارف أن يكون الخال أسود ، فتشبيه الخدود بالليل ، والخال بضوء البدر تشبيه ناقض للعادة(١) .

انتزاع وجه الشبه من التضاد

قد ينتزع وجه التشبيه من نفس التضاد ، لاشتراك الضدين فيه ، لكون كل منهما مضادا للآخر ، ثم ينزل التضاد منزلة التناسب بواسطة تمليح أو تهكم .

والتمليح : الإتيان بما فيه ملاحة وطرافة ، يقال : « ملح الشاعر » إذا أتى بشىء مليح ، والتهكم : السخرية والاستهزاء ، فيقال للجبان : ما أشبهه

---

(١) سر الفصاحة ص ٢٩٩

بالأسد، وللبخيل : هو حاتم ، وكل من هذين المثالين صالح للتمليح والتهكم، وإنما يوفق بينهما بحسب المقام :

فإن كان القصد إلى ملاحة وطرافة ، دون استهزاء وسخرية بأحد ، فتمليح ، وإلا فتهكم .

وقد سبق إلى بعض الأوهام ـ نظرا إلى ظاهر اللفظ ـ أن وجه الشبه فى قولنا للجبان : « هو أسد » والبخيل « هو حاتم » هو التضاد المشترك بين الطرفين باعتبار الوصفين المتضادين . وفيه نظر ، لأنا إذا قلنا : « الجبان كالأسد فى التضاد » أى فى كون كل منهما مضاداً للآخر لا يكون هذا من التمليح أو التهكم فى شىء كما إذا قلنا : « السواد كالبياض فى اللونية » أو « فى التقابل » ومعلوم أن التصريح بوجه الشبه فى قولنا للجبان : « هو أسد » « تمليحا أو تهكما » لم يتأت لنا إلا أن نقول : « فى الشجاعة » وإن كان « الجبان » ضد « الشجاعة » ولكى نحقق الغرض المطلوب من مثل هذا التشبيه ننزل تضادهما منزلة التناسب ، ونجعل الجبن بمنزلة الشجاعة على سبيل التمليح أو التهكم .

مراتب التشبيه

يحتاج الأديب والناقد إلى بيان مراتب التشبيه لكى يضع نفسه أو غيره فى الوضع المناسب .

وقد قسم البلاغيون التشبيه بحسب القوة والضعف فى المبالغة والتخييل والخيال ، باعتبار ذكر الأركان وتركها ، وبيان درجة قوة إثبات المعنى .

وأنتهوا إلى وضعه فى ثمان مراتب :

١ — ذكر الأركان الأربعة : المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه ، كقولك . زيد كالأسد فى الشجاعة ، ولا قوة لهذه المرتبة لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه الشبه .

٢ — ترك المشبه ، كقولك — كالأسد فى الشجاعة — أى زيد وهى كالأولى فى عدم القوة ، لأن حذف المشبه لا تأثير له فى إفادة المبالغة التى تعلو بها مرتبة التشبيه .

٣ — ترك كلمة التشبيه كقولك — زيد أسد فى الشجاعة — وفيها نوع قوة ، لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به أدعاء .

٤ — ترك المشبه وكلمة التشبيه ، كقولك — أسد فى الشجاعة — أى زيد ، وهى كالثالثة فى القوة ، لأن حذف المشبه لا تأثير له كما سبق .

٥ — ترك وجه الشبه ، كقولك - زيد كالأسد - وفيها نوع قوة ، لأن حذف وجه الشبه يجعل النفس تذهب كل مذهب ويخيل لها أن المشبه يشبه المشبه به فى جهات كثيرة .

٦ - ترك المشبه ووجه الشبه ، كقولك - كالأسـد - أى زيد وهى كالخامسة ، لأن حذف المشبه لا تأثير له كما سبق .

٧ - ترك كلمة التشبيه ، ووجه الشبه ، كقولك - زيد أسد - وهى أقوى الجميع ، لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به ادعاء ، وحذف وجه الشبه يجعل النفس تذهب فى وجه الشبه كل مذهب .

٨ - أفراد المشبه به بالذكر ، كقولك - أسد - أى زيد وهى كالسابعة فى القوة، لأن حذف المشبه لا تأثير له، كما سبق ، وصورة التشبيه فى المرتبتين السابعة والثامنة يطلق عليها البلاغيون « التشبيه البليغ » .

الفصل الثاني

المجاز

المجاز من خصائص اللغة
وبه اتسعت ، وهو القسم المستحلى
عند العرب

تنبيـــه

درج العرب القدماء وتابعهم المحدثون على تشبيه : الشجاع بالأسد ـ والكريم بالبحر والمطر ـ والوجه الحسن بالشمس والقمر ـ والوجه الصبيح بالدينار ـ والشعر الفاحم بالليل ـ والعالى المنزلة بالنجم ـ والحليم الرزين بالجبل ـ والأمانى الكاذبة بالعنقاء ـ والماء الصافى باللجين ـ والليل بموج البحر ـ والجيش بالبحر الزاخر ـ والخيل بالريح والبرق ـ والنجوم بالدرر والأزهار ـ والأسنان بالبرد ، واللؤلؤ ـ والسفن بالجبال ـ والجداول بالحيات الملتوية ـ والشيب بالنهار ـ ولمع السيوف وغرة الفرس بالهلال ـ ويشبهون الجبان بالنعامة والذبابة . واللئيم بالثعلب ـ والطائش بالفراش ـ والذليل بالوتد ـ والقاسى بالحديد والصخر ـ وبالبليد بالحمار ـ والبخيل بالأرض المجدبة .

وقد اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة فصاروا فيها أعلاما ، فجرى التشبيه بهم ، فيشبه الوفىُّ بالسموءل بن عاديا ، والكريم بحاتم ، والعادل بعمر ، والحليم بالأحنف ، والفصيح بسحبان والخطيب بقس بن ساعدة الأيادى — والشجاع بعمرو بن معد يكرب ، والحكيم بلقمان والذكى بإياس .

واشتهر آخرون بصفات ذميمة ، فجرى التشبيه بهم أيضاً :

فيشبه العي بباقل(١) - والأحمق بهبنقة(٢) - والنادم بالكسعى(٣) - والبخيل بمادر(٤) - والهجاء بالحطيئة .

---

(١) رجل أشتهر بالعى اشترى غزالا بأحد عشر درهما ، فسئل عن ثمنه ، فمد أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ، ففر الغزال ، فضرب به المثل فى العى .

(٢) هو لقب يزيد بن ثروان القيسى يضرب به المثل فى الحمق .

(٣) هو غامد بن الحرث ، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم ، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء ، فغضب وكسر قوسه ، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم ، فندم على كسر قوسه ، وعض على إبهامه فقطعها .

(٤) لقب رجل من بنى هلال، اسمه مخارق، وكان مشهورا بالبخل واللؤم.

الحقيقة والمجاز

البلاغيون فى بحثهم حول بيان « الحقيقة والمجاز » ينظرون مرة إلى الإسناد ، ومرة إلى اللفظ .

فإذا أسند الشىء إلى من هو له ، قالوا عن هذا الإسناد : إنه « حقيقة عقلية » مثل : « أنبت الله البقل » فإسناد « الإنبات » إلى الله - سبحانه وتعالى - من إسناد الشىء إلى من هو له لأن الله - جل وعلا - هو فاعل الإنبات حقيقة .

وإذا أسند الشىء إلى غير من هو له ، قالوا : إنه « مجاز عقلى » مثل : « أنبت الربيع البقل » فإسناد « الإنبات » إلى الربيع من إسناد الشىء إلى غير من هو له ، « فالربيع » فاعل الإنبات مجازاً .

وإذا كان اللفظ مستعملا فيما وضع له ، كلفظ « الأسد » إذا استعمل فى الحيوان المفترس ، قالوا : إنه حقيقة لغوية .

وإذا كان اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له كلفظ «الأسد» إذا استعمل فى الرجل الجرىء ، قالوا : إنه مجاز لغوى .

وبذلك أصبح ضمن المصطلحات البلاغية مصطلح الحقيقة والمجاز العقليين ، والحقيقة والمجاز اللغويين .

وقالوا : إذا كان المراد الحقيقة والمجاز العقليين فلابد من قيد « العقليين » .

أما إذا كان المراد «الحقيقة والمجاز اللغويين» فقد يذكر قيد «اللغويين» فيقال : « الحقيقة والمجاز اللغويان » ، وقد يترك هذا القيد فيقال : « الحقيقة والمجاز » .

والبلاغيون أصطلحوا على أنه إذا قيل : « الحقيقة والمجاز » بدون قيد انصرف الذهن إلى « الحقيقة والمجاز اللغويين » .

أما الحقيقة والمجاز العقليان فلابد فيهما من قيد « العقليان » ، وقد سبق أن عرضنا لهما فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

ولما كان بحثنا الآن فى « علم البيان » كان علينا أن نتعرض الحقيقة والمجاز اللغويين .

ولما كانت الحقيقة بمثابة الأصل للمجاز من حيث أن الاستعمال فى غير ما وضع له فرع الاستعمال فيما وضع له جرت العادة بالتعرض لتعريف الحقيقة أولا .

الحقيقة اللغوية

تعريفها :

هى فى « اللغة » وصف على وزن « فعيل » — إما بمعنى اسم الفاعل : من الشىء إذا ثبت فهو حقيق ، أى ثابت قال الله تعالى : (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون[1]) .

أى : لقد ثبت القول .

وأما بمعنى اسم المفعول : من حققت الشىء إذا أثبته ، فهو حقيق ، أى مثبت ، ثم نقل هذا اللفظ من الوصفية بمعنييها (اسم الفاعل ، أو اسم المفعول) — وجعل أسما الكلمة ، المستعملة فيما وضعت له ، باعتبار أنها

---

(١) سورة يس آية ٧

ثابتة فى معناها الذى وضعت له ، إذا كانت بمعنى اسم الفاعل ، — أو مثبتة فى معناها الذى وضعت له باعتبار أنها بمعنى اسم المفعول .

والتاء فى لفظ «حقيقة» للدلالة على نقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية، وليست «التاء» فيها للتأنيث، إذ يجوز أن تقول: هذا اللفظ حقيقة، ولو كانت التاء للتأنيث لما صح أن يقال ذلك.

والحقيقة «فى الاصطلاح» : هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح التخاطب ، أى فى الاصطلاح الذى وقع به التخاطب بالكلمة المنطوق بها كلفظ «الأسد» إذا استعمل فى الحيوان المفترس ، فهو حقيقة لاستعماله فيما وضع له فى كافة الاصطلاحات ، وكلفظ «الصلاة»، إذا استعمله المتكلم بعرف الشرع فى «الأركان الخاصة» ، فهو أيضاً حقيقة لاستعماله فيما وضع له فى اصطلاح أهل الشرع ، وكلفظ «الصلاة» أيضاً إذا استعمله المتكلم بعرف اللغة فى «الدعاء» فهو كذلك حقيقة لاستعماله فيما وضع له فى اصطلاح أرباب اللغة ...

وفى هذا التعريف قيود ثلاثة :

١ - المستعملة .

٢ - فيما وضعت له .

٣ - فى اصطلاح التخاطب .

فالقيد الأول احترز به عن الكلمة قبل الاستعمال ، فإنها لا تسمى حقيقة كما لا تسمى مجازاً .

وأما القيد الثانى :

فقد احترز به عن الغلط اللسانى ، وهو ما استعمل فى غير ما وضع له خطأ ، كأن تقول لآخر : « أعطنى هذا القلم » مشيرا إلى كتاب ، فمثل هذا لا يسمى «حقيقة» لاستعماله فى غير ما وضع له ، ولا يسمى «مجازاً» لعدم وجود علاقة بين معنى القلم والكتاب كما يحترز بهذا القيد عن «المجاز»: وهو ما استعمل فى غير ما وضع له فى سائر الاصطلاحات كلفظ «البحر» المستعمل فى الرجل الكريم .

وأما القيد الثالث :

فقد احترز به عن الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذى وقع به التخاطب «كالصلاة» إذا استعملها المتكلم بعرف الشرع فى « الدعاء » فليست حقيقة لعدم استعمالها فيما وضعت له فى الاصطلاح الذى وقع به التخاطب ، وهو «اللغة» .

فالمدار فى الحقيقة على أن تكون الكلمة مستعملة فيما وضعت له عند أهل الاصطلاح الذى وقع به التخاطب بالكلمة المذكورة .

وإذاً فالحقيقة أقسام :

(ا) الحقيقة اللغوية :

وهى ما وضعها واضع اللغة ، ودلت على معنى مصطلح عليه فى تلك المواضعة كألفاظ الجبل ، والزهرة ، والسماء ، والأرض ، والأم ، والأب ، وتلك ألفاظ تستعمل فى معناها الأصلى فتكون «حقيقة» وتستعمل فى غيره فتكون مجازاً .

(ب) الحقيقة العرفية :

وهى التى نقلت من مدلولها عند صاحب اللغة إلى مدلول آخر بالاستعمال ، والتعارف بين الناس .

وتنقسم الحقيقة العرفية إلى قسمين :

١ - حقيقة عرفية خاصة :

وهى التى وضعها أهل عرف خاص وجرت على ألسنتهم مثل الاصطلاحات الخاصة بكل علم : كالرفع والنصب والجر ، عند أهل النحو ، والسكون والعرض والجوهر عند المتكلمين ، فإن هذه الألفاظ تكون حقائق فى استعمالهم .

(جـ) الحقيقة الشرعية :

وهى اللفظة التى يضعها أهل الشرع لمعنى غير ما كانت تدل عليه فى أصل وضعها اللغوى ، مثل المؤمن والمسلم والكافر والفاسق ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، فهذه الأسماء صارت منقولة بالشرع إلى معان أخرى ، ونسيت معانيها اللغوية .

المجاز اللغوى

تعريفه :

يرى الشيخ عبد القاهر : أن «المجاز» فى اللغة مصدر ميمى على زنة «مفعل» بمعنى الجواز والتعدية ، من جاز المكان يجوزه إذا تعداه ، – نقل فى اصطلاحهم إلى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له ، باعتبار أنها جائزة مكانها الأصلى ، فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل – أو باعتبار أنها يجوز بها مكانها الأصلى ، فيكون المصدر بمعنى اسم المفعول(١) .

ويرى الخطيب القزوينى : أن المجاز «فى اللغة» مصدر ميمى بمعنى مكان الجواز والتعدية ، من قولهم : جعلت هذا مجازاً إلى حاجتى «أى طريقاً إليها ، فهو من جاز المكان سلكه إلى كذا ، لا من جازه إذا تعداه كما هو رأى الشيخ عبد القاهر – ثم نقل فى اصطلاحهم إلى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له ، باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها(٢) .

والمجاز فى الاصطلاح ينقسم إلى قسمين : مفرد ومركب .

فالمجاز المفرد :

هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب ، لعلاقة بين المعنى الموضوع له ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له .

والعلاقة :

هى المناسبة الخاصة بين المعنى الأصلى الموضوع له المعنى المراد من اللفظ .

---

(١) أسرار البلاغة ص ٣٢٣

(٢) الإيضاح مع البغية ص٨٨ ج ٣

والقرينة :

هى الأمر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له .

وفى تعريف المجاز قيود خمسة :

الأول : « الكلمة المستعملة » ويحترز به عن الكلمة قبل الاستعمال فإنها لاتسمى حقيقة ولا مجازاً ، على ماذكر فى تعريف الحقيقة .

والثانى : « فى غير ما وضعت له » ويحترز به عن الحقيقة ـ لأنها الكلمة المستعملة فيما وضعت له كما وضحنا ذلك فيما سبق .

والقيد الثالث :

« فى اصطلاح التخاطب » ويحترز به عن الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذى وقع به التخاطب « كالصلاة » إذا استعملها المتكلم بعرف الشرع فى الأركان الخاصة فليست مجازاً لعدم استعمالها فى غير ما وضعت له فى اصطلاح الشرع وإن كانت مستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح أهل اللغة .

وكالصلاة أيضاً : إذا استعملها المتكلم بعرف اللغة فى الدعاء فليست بمجاز كذلك لعدم استعمالها فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب « باللغة » ، وإن استعملت فى غير ما وضعت له فى اصطلاح أهل الشرع .

فالمدار فى المجاز أن تكون الكلمة مستعملة فى غير ماوضعت له عند أهل الاصطلاح الذى وقع به التخاطب بالكلمة المنطوق بها .

والقيد الرابع :

«لملاحظة علاقة» فيحترز به عن الغلط اللسانى مثل أن تشير إلى «حجر» وتقول لشخص آخر خذ هذا الفرس فإن استعمال لفظ «الفرس» لا يسمى استعمالا مجازيا لأنه لا علاقة بين الحجر والفرس .

ومن هنا اشترط البلاغيون وجود العلاقة فى المجاز أى مناسبة خاصة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى الذى نقلت إليه الكلمة .

هذه العلاقة تكون المشابهة فى مجاز الإستعارة مثل «رأيت أسدا» فى الكلية «تريد رجلا شجاعا ، فالمناسبة أو العلاقة بين الأسد وبين الرجل ، هى الشجاعة .

أو تكون العلاقة بين المعنيين «السببية» كما فى المجاز المرسل فى نحو قولك : «رعت الماشية الغيث» تريد النبات .

والقيد الخامس :

«مع قرينة مانعة» : ويحترز به عن الكناية لأن قرينتها غير مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

تقسيم المجاز المفرد

ينقسم المجاز المفرد باعتبار العلاقة إلى قسمين : مجاز مرسل ، واستعارة.

فإن كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة سمى اللفظ «استعارة» كلفظ «البحر» المستعمل فى الرجل الكريم فى نحو قولك : رأيت بحرا يغترف الناس

من فضله . فإن العلاقة بين معنى البحر والإنسان الكريم مشابهة الرجل الكريم للبحر فى العطاء والبذل .

وإن كانت العلاقة بين المعنيين غير المشابهة سمى اللفظ «مجازا مرسلا» كلفظ «النبات» المستعمل فى «الغيث» فى نحو قولك: «أمطرت السماء نباتا» فإن العلاقة بين النبات والغيث المسببية ، إذ أن النبات مسبب عن الغيث .

المجاز المرسل المفرد وعلاقاته

تعريفه :

المجاز المرسل : هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة بين المعنيين غير المشابهة وسمى مرسلا ، لأنه أرسل ، أى أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة، إذ له عدة علاقات — أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة إذ ليست العلاقة فيه بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما ، وكان مفرداً لأنه فى اللفظ وليس فى التركيب .

والعلاقة فى المجاز المرسل على أنواع ، وإليك أشهرها استعمالا .

١ — السببية :

وهى أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سببا فى المعنى المراد ، فيطلق اسم السبب على المسبب ، كما فى قولك: رعت الماشية الغيث وتريد النبات، «فالغيث» مجاز مرسل علاقته السببيه، لأن المعنى الحقيقى «للغيث» سبب فى المعنى المراد الذى هو «النبات» وقرينة المجاز قولك «رعت الماشية» إذ أن الغيث لا يرعى .

ومن ذلك قوله تعالى: (ونبلو أخباركم)(١)، عبر «بالبلاء» الذى هو الاختبار

(١) سورة محمد آية ٢١

وأراد : «المعرفة» لأن سببها ، فكأنه قال : ونعرف أخباركم ، أطلق السبب وهو «البلاء» «أى » «الاختبار» وأراد المسبب وهو «المعرفة» والقرينة عطف «ونبلو» على ماقبله وهو (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم).

ومنه قوله تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)(١) :

فاعتداء الأول حقيقة ، والاعتداء الثانى مجاز ، لأنه يريد فمن اعتدى عليكم فاقتصوا منه . فسمى القصاص أوجزاء الاعتداء — اعتداء ، لأن الاعتداء سبب الجزاء فعبر بالسبب عن المسبب على سبيل المجاز المرسل ، وسر بلاغته تظهر فى التعبير فى « القصاص » بالاعتداء ، ليشعرنا بأن العفو أفضل من القصاص الذى هو عدل .

ومثله قوله تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) يريد وجزاء سيئة قصاص يعدلها ، فسمى القصاص بسيئة ، لأنها سبب فيه فهو من إطلاق السبب على المسبب .

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يعتدى علينا أحد فنجازيه ونعاقبه أشد العقاب ، فالجهل الأول حقيقة ، والثانى مجاز مرسل عبر بالجهل عن الجزاء لأنه سببه .

ومثله قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه ، وإن كانوا غضابا

ومثله قول الشاعر :

إن لنا أحمرة عجافا يأكلن كل ليلة إكافا

(١) سورة البقرة آية ١٤٤

الأحمرة : جمع حمار ، والعجاف : جمع عجفاء وهى الهزيلة الضامرة ، والمعنى : أن هذه الأحمرة يأكان علفا بثمن الإكفاف وهو — فى الأصل — برذعة الحمار ، أطلق على العلف مجازا مرسلا علاقته السببية إذ أن ثمن الاكاف سبب فى الحصول على العلف وتصح أن تكون العلاقة المجاورة والمراد « حملا » لمجاورة الحمل للإكاف .

ومن هذا القبيل إطلاق اليد على النعمة كما تقول لآخر : « جلت يدك عندى » ، و « عمت أياديك الورى » ، فاليد ـ فى المثالين ـ بمعنى النعمة ، والعلاقة السببية ، لأن اليد آلة الإعطاء فهى سببه لأن شأن الاعطاء أن يكون بواسطة اليد ، والقرينة فيها قولك فى الأول « جلت » ، وفى الثانى « عمت » إذ لا معنى لعظم أو عموم اليد بمعنى « الجارحة » .

ومن إطلاق « اليد » بمعنى النعمة ، قوله ﷺ ، لأزواجه « أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا » ، يريد : أبسطكن عطاء وقوله : « أطولكن » ترشيح للمجاز .

ويحسن فى اطلاق اليد على النعمة أن يكون فى الكلام إشارة إلى ذى النعمة كما تراه فيما مثلنا ، ليكون ذلك أدل على إرادة معنى النعمة ، فلا يحسن أن يقال : « أتسعت اليد فى البلد » أو « اقتنيت يدا » كما يقال : اتسعت النعمة فى البلد ، واقتنيت نعمة .

ومنه قولهم فى صفة راعى الابل : « إن له عليها إصبعا » أى إن له عليها أثر حذق ومهارة ، فعبروا عن الأثر بالأصبع .

إذ ما من حذق فى عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع فى الخط والنقش .

ومنه قول الشاعر :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له
عليها إذا ما أجدب الناس أصبعا

أى ترى له عليها أثر حذق ومهارة .

ومنه قول بشار بن برد :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى   وأسمعت كلماتى من به صمم

الأعمى فى الأصل الذى لا بصر له ، وأراد به الشاعر هنا من لا معرفة له بالأدب ، ولا علم عنده بجيده ، والعلاقة بين المعنيين السببية ، فان البصر سبب من أسباب العلم بالأشياء ، والقرينة على أنه لم يرد بهذا اللفظ معناه الأصلى قوله (نظر) فانه يستحيل أن يرى الأعمى شيئا .

وفى قوله : (من به صمم) مجاز مرسل أيضا ، فإن أصل معنى (من به صمم) الذى فقد حاسة السمع . وأراد منه هنا مثل ما أراده بالأعمى والعلاقة هى السببية ، لأن السمع سبب من أسباب العلم الأشياء والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلى لهذه العبارة قوله (وأسمعت كلماتى) فإنه يستحيل على من به صمم حقيقة أن يسمع شيئا ، والعبارتان كنايتان عن شهرة أدبه وأنه لا يختلف فيه .

٢ — المسببية :

وهى أن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور مسببا عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب كما فى قوله تعالى : (وينزل لكم من السماء رزقا(١)) ، أى ماء فالرزق مجاز مرسل علاقته المسببية ، لان المعنى الاصلى الرزق مسبب فالرزق لا ينزل وانما الذى ينزل الماء .

ومنه قوله تعالى : (إنما يأكلون فى بطونهم نارا (٢)) يريد « مالا »

---

(١) سورة غافر آية ١٣   (٢) سورة النساء آية ١٠

فعبر عن الحال بالنار مجازا مرسلا علاقته المسببية ، إذ أن النار مسببة عن المال الحرام . والقرينة قوله : يأكلون فى بطونهم) لان النار لا تؤكل فى البطون .

ومنه قولهم : « كما تدين تدان » أى كما تفعل تجازى : عبر عما يأتيه المرء من فعل يستحق الجزاء مسبب عنه فهو مجاز مرسل علاقته المسببية من إطلاق اسم المسبب على السبب

ومنه قولهم : « أمطرت السماء نباتا » يريد « ماء » ، فالنبات مجاز مرسل علاقته المسببية ، لأن المعنى الاصلى للنبات مسبب عن المعنى المراد الذى هو « الماء » وقرينته قوله : « أمطرت » إذ أن النبات لا يمطر .

ومنه قول الشاعر يصف غيثا هاطلا :

أقبل فى المستن من ربابه
أسنمة الآبال من سحابه

المستن : مجرى الماء المنصب يقال : استنت العين انصب ماؤها و « الرباب » : السحاب ، والضمير فيه للبرق . والآبال : جمع إبل ، وأسنمة : جمع سنام : وهو ما ارتفع من ظهر البعير ، وقد أراد به : الغيث ، فعبر عنه بأسنمة الآبال . لانها مسببة عن النبات المسبب عن الغيث

٣ — المجاورة : وهى أن يعبر عن الشىء باسم ما يجاوره ، كما فى إطلاق لفظ « الراوية » على القربة فى نحو قولك . « خلت الراوية من الماء » تريد خلت القربة — ومعنى الرواية فى الاصل : « الدابة » يستقى عليها ، فالراوية مجاز مرسل علاقته المجاورة ، لمجاورة الدابة للقربة عند الحمل ، والقرينة لفظ « خلت » لان الذى يخلو من الماء هو الوعاء لا الحيوان الحامل

وتأمل قول عنترة العبسى :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم

أى شككت بالرمح الأصم جسمه ، عبر بالثياب عن الجسم مجازا مرسلا علاقته المجاورة التامة ، والقرينة قوله : « شككت »

ومما علاقته المجاورة : إطلاق اللفظ على المعنى ، أو العكس ، تقول: « فهمت اللفظ » وتريد معناه ، وتقول : « قرأت المعنى » ، وتريد اللفظ فهذا من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المجاورة

٤ — اعتبار ما كان : وهو أن يعبر عن الشىء باسم ما كان عليه قبل، كما فى قوله جل وعلا : (إنه من يأت ربه مجرما(١) عبر بالمجرم عن المؤمن مجازاً مرسلا علاقتـه اعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام ، والقرينة حالية ، وهى أن الناس جميعاً يأتون ربهم يوم القيامة مؤمنين .

ومنه قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم(٢)) والمراد وآتوا الذين بلغوا سن البلوغ من الذين كانوا يتامى قبل ذلك . إذ لايتم بعد البلوغ ، ولعل فى ذلك إشعارا للأولياء بأنه يجب عليهم أن يعطوا هؤلاء الذين بلغوا سن البلوغ أموالهم كاملة غير منقوصة ، ولا يجوز الطمع فى هذه الأموال لأن أصحابها كانوا بالأمس القريب يتامى فقـــدوا آباءهم وحرموا من عطفهم . والقرينة استحقاقهم للتصرف فى أموالهم .

وكذلك قولهم : أكلنا قمحا أى خبزا ، عبر بالقمح عن الخبز مجازا

---

(١) سورة طه الآية : ٧٤
(٢) سورة النساء الآية : ٢

مرسلا علاقته اعتبار ما كان ، والقرينة قوله : أكلنا ، فإن القمح بمعناه الحقيقى لا يؤكل عادة .

٥ — اعتبار ما يكون وهو : أن يعبر عن الشيء باسم ما يئول إليه فى المستقبل كقوله تعالى : (إنى أرانى أعصر خمـــراً (١)) يريد عنباً يئول عصيره إلى خمر ، فنى « خمراً » مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون ، أى ما يئول إليه العنب من الاختمار ، وقرينة المجاز لفظ « أعصر » ، لأن الخمر عصير ، والعصير لا يعصر ومثله قوله تعالى : (فبشرناه بغلام حليم (٢)) أى بطفل مآله أن يكون غلاماً .

وكما فى قوله تعالى : (إنك ميت وإنهم ميتون (٣)) يريد : إنك ستموت وأنهم سيموتون ، فالتعبير « بميت » مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون أى ما سيئول إليه الحال من النهاية المحتومة .

والقرينة الخطاب لأن من مات فعلا لا يخاطب .

٦ — الكلية أن يعبر عن الجزء باسم كله ، أى يطلق اسم الكل ، ويراد جزؤه كما فى قوله تعالى : (جعلوا أصابعهم فى آذانهم (٤)) أى جعلوا أناملهم ، فقد دل بالأصابع على الأنامل مجازاً مرسلا علاقته الكلية لأن المعنى الأصلى للأصابع كل للأنامل ـ وقرينة المجاز استحالة وضع الإصبع كلها فى الأذن عادة . وفى ذلك مبالغة فى إعراضهم عن الحق ، فهم يعطلون حاسة السمع بأقصى ما يمكن .

ومنه قول السموءل بن عاديا :

تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل

---

(١) سورة يوسف آية ٣٦ (٢) سورة الصافات آية ١٠١
(٣) سورة الزمر آية ٣٠ (٤) سورة نوح آية ٧

الظبات : جمع ظبة ـ بضم الظاء وتخفيف الباء ـ وهى حد السيف ، والنفوس : جمع نفس ، وأصل معنى النفس الجوهر اللطيف الذى تبقى الحياة فى الجسم ما بقى وتذهب متى ذهب ، وأراد الشاعر هنا من النفوس الدماء الذى هو جزؤها بدليل قوله « تسيل » إذ أن السيلان من شئون الدم . والعبارة كلها كناية عن كونهم شجعانا مقاديم :

ومثله قولهم : أكلت نبات الأرض . وشربت ماء النيل ، فقد أطلقوا اسم الكل وهو « النبات » أو « الماء » وأريد بعضه والقرينة استحالة أكل الكل أو شربه .

٧ — الجزئية : وهو أن يعبر عن الكل باسم جزئه ، أى يطلق اسم الجزء ويراد الكل كما فى قوله تعالى : (فتحرير رقبة مؤمنة(١) أى عبد مؤمن فعبر بالرقبة عن العبد مجازا مرسلا علاقته الجزئية ، لأن المعنى الحقيقى للرقبة جزء من العبد — والقرينة قوله : فتحرير لأن التحرير إنما يكون للذات كلها لا لجزء منها إذ أن العتق لا يتجزأ .

ومثله إطلاق العين على الجاسوس فى قولهم : « بث الأمير عيونه فى المدينة » ، يريد : جواسيسه

فقد عبر بالعين عن الجاسوس مجازا مرسلا علاقته الجزئية ، لأن العين بمعناها الحقيقى جزء من الجاسوس والقرينة استحالة بث العيون وحدها

ومثله قول معن بن أوس المزنى فى ابن اخته :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

---

(١) سورة النساء آية ٩٢

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى

والشاهد فى البيت الثانى إذ يريد : فلما قال قصيدة ، فقد عبر بالقافية وأراد القصيدة مجازا مرسلا علاقته الجزئية إذ أن المعنى الحقيقى للقافية جزء من القصيدة — وقرينة المجاز لفظ « قال » لأن معناه : نظم . والنظم لا يكون إلا للقصائد .

ويشترط لهذه العلاقة أحد أمور ثلاث .

الأول : أن يكون انتفاء الجزء مستلزما لانتفاء الكل كما فى اطلاق الرقبة على الذات .

الثانى : أن يكون الجزء أشرف بقية الأجزاء كما فى إطلاق القافية على القصيدة .

الثالث : أن يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المراد من الكل كما فى إطلاق العين على الجاسوس ،

وقد يعبر بالجزء عن الكل دون مراعاة لأحد الشروط السابقة ولكنه قليل كما فى قول الشاعر :

وكنت إذا كف أتتك عديمة ترجى نوالا من سحابك بلت

عبر بالكف عن ذات السائل مجازا مرسلا علاقته الجزئية .

٨ — الآلية : هى أن يعبر باسم الآلة ويراد أثرها الناتج عنها كما فى قوله تعالى : واجعل لى لسان صدق فى الآخرين(١)

---

(١) سورة الشعراء آية ٨٤

يريد : ذكرا حسنا ، وثناء عطرا فيمن يأتى بعدى من الأمم فنى «لسان صدق» مجاز مرسل علاقته الآلية؛ لأن اللسان بمعناه الحقيقى آلة وواسطة للذكر الحسن الذى هو المعنى المراد

والقرينة ، قوله : «فى الآخرين» لاستحالة بقاء هذه الجارحة فيما يأتى من الأمم بعد .

ومنه قوله تعالى : (فأتوا به على أعين الناس) عبر عن البصر بالعين لأنها آلته مجازا مرسلا علاقته الآلية .

٩ — الحالية : وهى أن يطلق اسم الحال ويراد المحل كما فى قوله تعالى (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد(١) أى خذوا لباسكم ، فعبر عن اللباس بالزينة مجازا مرسلا علاقته الحالية لحلول الزينة فى اللباس والقرينة قوله : «خذوا» فإن الزينة لا تؤخذ .

ومنه قوله تعالى : (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله(٢) . يريد : ففى جنة الله ، فقد عبر عن جنة الله برحمته مجازا مرسلا علاقته الحالية :

ومنه قول الشاعر :

ألما على معن وقولا لقبره
سقتك الغوادى مربعا بعد مربع

ألما : أنزلا به ، والغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة ،

---

(١) سورة الأعراف آية ٣١
(٢) سورة آل عمران آية ١٠٧

والأحسن فى مربع هنا أن تكون اسما مأخوذا من أربعة ، والمعنى سقتك الغوادى أربعة أيام متوالية ثم أربعة أخرى متوالية يدعو بكثرة السقيا للقبر دفعبر بمن عن القبر مجازا مرسلا علاقته الحالية .

ومنه قول المتنبي يصف إحاطة جيوش سيف الدولة بأعدائه :

والأعوجية ملء الطرق خلفهم والمشرفية ملء اليوم فوقهم

الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبنى هلال .
والمشرفية : السيوف « و » ملء « فى الشطرين منصوب على الحال وخبر المبتدأ فى الشطر الأول الظرف : خلفهم ، وفى الشطر الثانى الظرف : فوقهم والشاهد فيه : ملء اليوم ، يراد به ملء الفضاء الذى يشرق عليه النهار ، فالمجاز المرسل علاقته الحالية .

١٠ : المحلية : وهى أن يذكر اسم المحل ويراد الحال عكس السابق فى قوله تعالى : و (واسأل القرية التى كنا فيها(١)) أى أهل القرية ففى القرية مجاز مرسل علاقته المحلية ، لأن القرية معناها الأصلى محل لساكنيها ، والقرينة استحالة سؤال القرية بمعناها الحقيقى .

ومنه قوله تعالى : (فليدع ناديه(٢) أى أهل ناديه . فقد عبر بالنادى وأراد أهله مجازا مرسلا علاقته المحلية ، لأن النادى محل لأهله ـ والقرينة استحالة نداء النادى الحقيقى

١١ — البدلية : وهى أن يطلق اسم البدل ويراد المبدل منه كإطلاق القضاء على الأداء فى قوله تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا(٣)

---

(١) سورة يوسف آية ٨٢ (٢) سورة العلق آية ١٧
(٣) سورة الجمعة آية ١٠

يريد سبحانه : فإذا أديتم لأن الإتيان بالصلاة فى أوقاتها يسمى أداء ، لاقضاء ، فالتعبير بالقضاء بدلا من الأداء مجاز مرسل علاقته البدلية — والقرينة مقام الخطاب ، إذأن الخطاب مع من يؤدون الصلاة فى أوقاتها .

١٢ — المبدلية : وهى أن يطلق المبدل منه ويراد البدل كإطلاق الدم على الدية فى قول الشاعر يتوعد زوجه :

أكلت دما إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

« راعه : أخافه وأفزعه » « والضرة » بفتح الضاد ، إحدى الزوجتين أو الزوجات « والقرط » بضم القاف مايعلق فى شحمة الأذنين ، وقوله : بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول جيد المرأة .

والشاهد فى البيت أنه يريد أن يقول : «أكلت دية » عبر بلفظ «الدم» ، وأراد الدية بدلا منه — والقرينة قوله «أكلت» : ، لأن الدم بمعناه الحقيقى لايؤكل عادة .

١٣ — اللازمية : وهى أن يطلق اسم اللازم ويراد الملزوم كما فى قولك : « نظرت إلى الحرارة » ، تريد : النار ، «فى الحرارة » مجاز مرسل علاقته اللازمية ، لأن الحرارة توجد حتما حيث توجد النار — والقرينة قولك : « نظرت » لأن الحرارة لاترى بالبصر .

١٤ — الملزومية : وهى أن يعبر باسم الملزوم ويراد اللازم كما تقول : دخلت الشمس من « النافذة » .

تريد : دخل الضوء « فالشمس » مجاز مرسل علاقته الملزومية . لأن المعنى الحقيقى للشمس ملزوم للمعنى المراد الذى هو الضوء ـ والقرينة قوله : « دخلت » فهو وصف للضوء ، لا للجرم الملزوم كما لايخفى .

١٥ - العموم أو الخصوص فالأول : أن يكون مدلول اللفظ المذكور عاما ، ويراد منه معنى خاص كإطلاق لفظ « الناس » على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله(١)) فالناس مجاز مرسل علاقته العموم والقرينة حالية .

والثانى : أن يكون اللفظ المذكور خاصا ، ويراد منه العموم كقوله تعالى : (يأيها النبى إذا طلقتم النساء(٢) فأطلق هذا اسم النبى ﷺ وأراد جميع أمته والقرينة قوله : (طلقتم)

١٦ - التعلق الاشتقاقى : وهو أن يذكر اللفظ ، ويراد ما اشتق منه كاطلاق المصدر على اسم المفعول فى قوله تعالى : (هذا خلق الله(٣) أى : مخلوقه ، وقوله تعالى . ولا يحيطون بشىء من علمه(٤) أى معلومه ، فكل من « الخلق والعلم » مجاز مرسل علاقته ما بين المصدر ، واسم المفعول من الربط الاشتقاقى .

١٧ - التقييد والاطلاق : وهو أن يكون الشىء مقيدا ، فيطلق عن قيده كما فى اطلاق « المرسن » على أنف الانسان فى قولك : (مرسن زيد يرشح دما) . وأنت تقصد « أنفه » فالمرسن فى - الأصل - أنف الحيوان إذ هو موضع الرسن منه ، ثم أطلق عن قيده ، وأريد منه : مطلق أنف ، فصح إطلاقه على أنف الانسان ، باعتباره أحد أفراد هذا المطلق ، فهو كذلك - مجاز مرسل ، علاقته التقييد والإطلاق .

ومثله إطلاق « المشفر » على شفة الإنسان فى قولك : (مشفر زيد

---

(١) سورة النساء آية ٥٤
(٢) سورة الطلاق آية ١
(٣) سورة لقمان آية ١١
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٥

يسيل دما) تزيد شفته ، فالمشفر ـ فى الأصل ـ للبعير خاصة ، ثم أطلق عن هذا القيد . وأريد منه . مطلق شفة ، فصح إطلاقه على شفة زيد باعتبارها أحد أفراد هذا المطلق ، فيكون مجازا مرسلا ، علاقته التقييد والاطلاق

ويصح فى مثل هذين المثالين . أن تكون العلاقة المشابهة ويكون اللفظ حينئذ « استعارة » بأن تشبه شفة زيد مثلا بمشفر البعير فى الغلظ والتدلى ثم يستعار لها لفظ « مشفر » ومثل هذا يقال فى « المرسن » وعليه قول الفرزدق يهجو رجلا من بنى جند ويطعن فى نسبه من جهة أمه .

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى   ولكن «زنجى» غليظ المشافر

يريد : ولكنك زنجى لا يعرف مكان شرفى ، بحذف اسم « لكن » وهو نادر ، وروى « ولكن زنجيا على حذف الخبر ، والتقدير ـ لا يعرف شيئا ـ .

ومثله قول الحطيئة يخاطب الزبرقان بن بدر التميمى :

قروا جارك العيمان لما جفوته   وقلص عن برد الشراب مشافره

وقروا بمعنى : أضافوا ، ويعنى بالجار نفسه ، و « العيمان » العطشان إلى اللبن ، و « قلص » انقبض وانكمش من تأثير البرودة ، يرميه بالبخل لأنه لم يجد لديه سوى الماء ،

والشاهد فى البيتين ، إطلاق لفظ « المشفر » على شفة الإنسان تشبيها لها بمشفر الجمل فى الغلظ والتدلى . ثم حذف المشبه وهو شفة الإنسان وأقيم مقامه مشفر البعير على سبيل الاستعارة

ومن هذا الضرب قول الآخر :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها   إلى ملك أظلافه لم تشقق

يقول : سأمنع ناقتي أن تسير إلى أحد ، أو أفوض أمرها إلى ملك لا إلى عبد جاف ، متشقق الأظلاف ، إذ أن العبد يوصف بتشقق الرجل لجفائه ، والشاهد في اطلاق الظلف على الرجل على سبيل الاستعارة(١) .

ومن علاقات المجاز المرسل .

« الضدية » وذلك عند إطلاق « البصير » على « الأعمى » و « المفازة » على الصحراء المهلكة و « السليم » على « اللديغ » أو « الجريح » و « الملآن » على « الفارغ » .

إلى غير ذلك من علاقات المجاز المرسل التي ذكرنا لك أكثرها استعمالا

(١) انظر الإيضاح مع البغية ص ٨٩ — ١٠١ ج ٣

الاستعارة

القسم الثانى من المجاز اللغوى المفرد هو : الاستعارة .

وهى مجاز تكون العلاقة فيه بين المعنيين : - المعنى الحقيقى أو الأصلى للفظ ، وبين المعنى المجازى أو المراد - هى المشابهة ، أى مشابهة المعنى المجازى ، وهو المعنى المراد بالمعنى الموضوع له اللفظ والبلاغيون يعرفونها مرة بالمعنى الإسمى فيقولون : إنها الكلمة المستعملة فى غير ماوضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

ومرة أخرى يعرفونها بالمعنى المصدرى فيقولون : هى استعمال الكلمة فى غير ماوضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

ومن هنا صح الاشتقاق ، فيقال : اللفظ مستعار ، والمشبه به مستعار منه ، والمشبه مستعار له ، والمتكلم مستعير .

وذلك مثل قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلم

« شاكى السلاح » : تامه . و « مقذف » بصيغة اسم المفعول : المقذوف باللحم أو المقذوف به فى المعارك و « اللبد » على زنة عنب : الشعر الكثيف المجتمع على نصفه الأعلى ، أظفاره لم تقلم : كناية عن القوة .

فلفظ « أسد » استعارة لأنه بدلالة القرينة ، يتضمن تشبيه الرجل الجرىء بما وضع له لفظ « أسد » وهو الحيوان المفترس .

فالاستعارة فيها طى ذكر المشبه وهو هنا الرجل الجرىء وإقامة لفظ المشبه به مكانه .

وبذلك التوضيح يخرج التشبيه البليغ نحو « زيد أسد » من دائرة الاستعارة ، لأن المستعمل فيه لفظ « أسد » من قولنا : « زيد أسد » هو بعينه المعنى الموضوع له ، لا المعنى المجازي ، فلو جعل لفظ « أسد » في المثال المذكور : استعارة للزم تشبيه المعنى المستعمل فيه اللفظ بالمعنى الموضوع له وهما هنا متحدان ، فيلزم حينئذ تشبيه الشيء بنفسه ولا معنى لذلك .

ولما كان الأساس الذى تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه عد أصلا وعدت الاستعارة فرعا له .

ومنذ بدأ تاريخ الاستعارة والتشبيه والباحثـون يخلطون بينهما ، فيجلعون بعض الاستعارات تشبيهات ، وكثيرا ما يعكسون ، فيطلقون على بعض التشبيهات لقب الاستعارة ، فقول الوأواء الدمشقى .

وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

يعده أبو هلال العسكرى من أتم التشبيه(١) ، لأنه شبه خمسة أشياء فى بيت واحد : الدمع باللؤلؤ ، والعين بالنرجس ، والخد بالورد ، والأنامل بالعناب ، لمافيهن من الخضاب ، والثغر البرد .

ويجعل أبو هلال من الاستعارة مثل قول الشاعر :

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله ورقت كما رق النسيم شمائله

وبيت الوأواء كما ترى لم يصور فيه المعنى بصورة التشبيه ، وليس فيه خمسة تشبيهات ، وأنما هى استعارات لا ذكر فيها للمشبه ، وإنما المذكور

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٥٧ تحقيق البجاوى وآخر طبع الحلبى .

طرف واحد من طرفى التشبيه ، وهو المشبـــه به ، اللؤلؤ ، والنرجس والورد ، والعناب ، والبرد ، ليست حقائق فيما استعملت فيه ، وإنما هى مجازات ، أو استعارات للمعانى الحقيقية التى يصفها الشاعر ، وهى الدمع والعين والخد والأنامل والثغر التى لم تذكر فى العبارة .

أما قول الشاعر : « صفت مثل ما تصفو المدام » الذى جعله أبو هلال استعارة ، فواضح أنه تشبيه لوجود الطرفين وأداة التشبيه .

وظل هـــذا الخلط يسرى بين الباحثين حتى اعترض عليه القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى من أئمة النقد فى القرن الرابع الهجرى .

فقد ذكر أن بعض أهل الأدب عد من الاستعارة قول أبى فراس :

والحب ظهر أنت راكبه   فاذا صرفت عنانه انصرفا

وقال القاضى : وليس هذا وما أشبهه استعارة ؟ وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر تديره كيف شئت ، إذا ملكت عنانه ، فهو إما ضرب مثل ، أو تشبيه شىء بشىء .

وإنما الاستعارة : ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارات فجعلت فى مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبـــه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر (١) .

وعلى الرغم من كلام القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ظل هذا الخلط بين التشبيه والاستعارة يسرى بين الباحثين حتى وصل إلى البلاغيين المتأخرين الذين حددوا الخلاف فى هذه الصور :

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٤٠

١ — المشبه مبتدا والمشبه به خبر عنه نحو «زيد أسد» .

٢ — المشبه اسم «كان أو إحدى أخواتها» والمشبه به خبر مثل : كان زيد أسدا» .

٣ — المشبه مفعول أول لنحو (علم أو إحدى أخواتها) والمشبه به مفعول ثان نحو (علمت زيدا أسدا) .

٤ — المشبه مسند إليه والمشبه به حال منه نحو (كر زيد أسدا) .

٥ — المشبه به صفة للمشبه مثل (مررت برجل أسد) .

قال البلاغيون: إن الكلام فى كل هذه الصور تشبيه ، لا استعارة على على الرأى الراجح، لأن الكلام فيها مسوق لإثبات التشبيه ،

لا لاثبات شىء آخر ، وقالوا : إننا إذا قلنا مثلا : «زيد أسد» لا يصح المعنى إلا بمراعاة معنى التشبيه إذ أن سياق الكلام إنما هو لاثبات الأسدية «لزيد» وهو ممتنع على الحقيقة لتباين المفهومين ، فيحمل على إثبات شبه من الأسد لزيد ، ويكون الاتيان بلفظ «أسد» لإثبات هذا الشبه فتكون هذه الصور من قبيل التشبيه .

وهذا بخلاف صور الاستعارة التى يطوى فيها ذكر المشبه مثل : «غنت ظبية» فان معنى الكلام على تناسى التشبيه بين الجارية والظبية وإثبات شىء صادر من الظبية وهو «الغناء» لا لاثبات شبه من الظبية للجارية .

وبعض البلاغيين ذهب إلى أن لفظ «أسد» فى الصور التى عرضناها آنفا — إستعارة مدعيا أن «أسد» مستعمل فى معنى «الرجل الجرىء» بعد إجراء التشبيه بينه وبين الأسد ، فيكون لفظ «أسد» إستعارة لاستعماله فى غير ما وضع له العلاقة المشابهة بين الجرىء والأسد ، وليس فى هذا جمع بين طرفى التشبيه، لأن «زيد» فى الأمثلة المذكورة ليس هو المشبه، بل المشبه هو

المعنى الكلى «لزيد» وهو «الجرىء» وهذا المشبه لم يذكر لفظه فى الكلام حتى أننا نحكم على هذه الصور بأنها من قبيل التشبيه .

وأيدوا رأيهم بما ورد من تعلق الجار والمجرور بالمشبه به فى قول عمران بن حطان يخاطب الحجاج الثقفى :

أسد على وفى الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر

يقول: أنت مجترىء على، وفى الحروب جبان رعديد فقد استعمل لفظ « أسد » فى معنى الجرىء ، كما استعمل لفظ « نعامة » فى معنى «الجبان» — الرعديد :

وقال أبو العلاء فى مرثية له :

والطير أغربة عليه بأسرها   فتخ السراة وساكنات لصاف

«الفتخ» بضم الفاء وسكون التاء جمع فتخاء وهو الاسترخاء ، والسراة: بفتح السين جبل بالجن ، و « لصاف » بفتح اللام اسم جبل لطيء وكلاهما مأوى للطير .

فليس المراد «بالأغربة» : الطيور المعروفة ، إذ لامعنى له ، بل المقصود : والطير باكية عليه ، فقد استعمل لفظ « أغربة » فى معنى « باكية » فالجار والمجرور فى البيتين إنما تعلق بهذه الألفاظ بعد تأولها بالمشتق ، ولو كانت مستعملة فى معناها الحقيقى ماصح تعلقه بها لامتناع تعلقه بالجوامد لهذا كانت هذه الألفاظ استعارة لأنها مستعملة فى غير ماوضعت له أى مستعملة فى مكان المشبه .

وإذا كان أصحاب الرأى الأول يقولون: إن لفظ «أسد» محمول على «زيد»

وهذا يقتضى اتحاد الحقيقتين، وهو ممتنع للتباين بين مفهوم «زيد» و «أسد» فوجب المصير إلى التشبيه .

وأصحاب الرأى الثانى يخرجون من هذا الاشكال بقولهم : إن لفظ «أسد» ليس مستعملا فى معناه الحقيقى الذى هو الحيوان المفترس ، وإنما هو مستعمل فى معنى «الجرىء» فحمله على «زيد» باعتباره أحدأفراد الجرىء صحيح لاضير فيه لاتحاد الحقيقتين ، ومن ثم فإن أسدا فى الصور المذكورة استعارة لاتشبيه والواقع أن الخلاف بين الرأيين لفظى ، لأنه يدور حول صحة الحمل فى نحو «زيد أسد» فهو حمل غير صحيح لتباين المفهومين .

فالفريق الأول يرى أن الحمل يصح على التشبيه بتقدير أداته .

والفريق الثانى يقول: إن الحمل يصح على تقدير الاستعارة أى أن حمل «أسد» على «زيد» باعتباره أحد أفراد الجرىء .

والقول بأن هذه الصور التى ذكرناها من التشبيه البليغ هو القول الراجح فواضح أن فى مثل قولنا:«زيد أسد» جمعا بين الطرفين، والاستعارة لايجمع فيها بين طرفى التشبيه ، وقولهم:إن «زيد» فى الصور المذكورة ليس مشبها،وإنما المشبه الرجل الجرىء قول لا معنى له .

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجانى يرى أن هذه الصور من التشبيه أى الذى حذفت أداته، ولكنه — رحمه الله — كان يكره كثرة الخلاف فأبدى رأيا وسطا بين القائلين بالتشبيه وبين القائلين بالاستعارة ، إليك بيانه ، جعل الشيخ فى المسألة أقساما ثلاثة :

١ — مايحسن فيه دخول أداة التشبيه عليه ، كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك : (زيد الأسد) وليلى شمس النهار ، فانه يحسن أن يقال : زيد كالأسد وحلت ليلى شمس النهار ، ومثل هذا القسم لايحسن إطلاق اسم الاستعارة عليه .

٢ — مايحسن فيه دخول بعض أدوات التشبيه دون بعض، كأن يكون اسم المشبه به نكرة غير موصوفة كقولك: (زيد أسد) فانه لايحسن أن يقال فيه: (زيد كأسد)، لأنه أسلوب ساقط ولا يفي بالغرض من التشبيه إذ الغرض تشبيه زيد بحقيقة الأسد وجنسه لا تشبيه بفرد من أفراد الأسد.

ويرى أنه من الأحسن أن يقال في مثل هذا المثال المذكور: (كأن زيدا أسد) وخلته أسدا، وهذا القسم قد يستساغ إطلاق اسم الاستعارة عليه.

٣ — مالا يحسن فيه دخول شيء من أدوات التشبيه إلا بتغيير صورة الكلام كأن يكون المشبه به نكرة موصوفة بما لايلائمه كقولك: (فلان بدر يسكن الأرض، وهو شمس لاتغيب.

وكقول أبي عبادة البحتري الشاعر العباسي:

شمس تألق والفراق غروبها عنا وبدر والصدود كسوفه

فانه لايحسن دخول أداة من أدوات التشبيه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته كأن تقول: هو البدر إلا أنه يسكن الأرض، وكالشمس غير أنه لا يغيب، ومثل الشمس المتألقه إلا أن الفراق غروبها وكالبدر غير أن الصدود كسوفه.

هذا القسم إطلاق اسم الاستعارة عليه أكثر استساغة لغموض تقدير أداة التشبيه فيه.

وقد يكون في الكلام ما يمنع تقدير أداة التشبيه فيه فيكون أجدر باطلاق اسم الاستعارة عليه كما في قول أبي الطيب:

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه يرعد

الهزبر : أقوى أنواع الأسود ، والخضاب : الحناء ، والفريص مفرده فريصة وهى : لحمة بين الثدى والكتف أو بين الجنب والكتف . فالمعنى المراد لا يتحقق مع تقدير التشبيه لما فيه من التناقض لأننا إذا قلنا : هو كالأسد ، نكون قد شبهناه بجنس الاسد وهذا يدل على أنه مثل الأسد ، أو أقل منه ، ثم نجعل دم الهزبر الذى هو أقوى أنواع الأسود خضاب يده فذلك دليل على أنه فوقه . وكذلك إذا قلنا هو كالموت فذلك دليل على أنه مثله أو أقل منه ، ثم نجعل الموت يخاف منه . وهذا تناقض واضح .

ومثله قول البحترى :

وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا
وموضع رجلى منه أسود مظلم

أراد بموضع رجله : بيته ، يريد : أن فضل الممدوح شمل عامة الناس دونه — والشاهد فيه : أنه لا سبيل الى جعله من التشبيه الساذج حتى يكون المعنى : هو كالبدر إذ يلزم عليه أن يكون قد جعل البدر — المعروف موصوفا بما ليس فيه وهو إضاءة العالم أجمع إلا موضع قدم الشاعر — فظهر من هذا أنه إنما أراد أن يثبت من الممدوح بدرا له هذه الصفات العجيبة التى لم تعهد للبدر ، فهو إذا مبنى على تخييل : أنه زاد فى جنس البدر واحداً له تلك الصفة — والكلام موضوع لا لاثبات الشبه بينهما ، ولكن لاثبات تلك الصفة العجيبة كما تقول : محمد رجل كيت وكيت ، فانت لم تقصد بهذا القول : اثبات كونه رجلا فان ذلك أمر معروف ، بل أردت إثبات كونه متصفا بما ذكرت ، وهو ما كنيت عنه ، بكيت — وإذا لم يكن اسم المشبه به فى البيت المذكور مجتلبا لإثبات الشبه كان الكلام حينئذ مبنيا على أن كون الممدوح بدرا أمر قد استقر وثبت ، وإنما الغرض :

إثبات الصفة الغريبة فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى، وصار إطلاق الاستعارة عليه أقرب(١).

فان لم يكن المشبه به خبرا عن المشبه، ولا في حكم الخبر كما في قولهم رأيت بفلان أسدا، ولقيني منه أسد سمى الكلام تجريدا أي لا هو من قبيل الاستعارة ولا هو من نوع التشبيه.

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلي

اختلف البلاغيون في الاستعارة: أهى من قبيل المجاز اللغوى، أم المجاز العقلي؟

فجمهور البلاغيين — ومنهم الخطيب القزويني على أنها مجاز لغوى، أي أنها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، فالتصرف فيها إنما هو في نقل اللفظ من معناه الموضوع له في اللغة إلى معنى آخر.

ودليلهم على ذلك: أن لفظ «أسد» في قولنا: رأيت أسدا في الميدان هو اللفظ المستعار، وهو موضوع في اللغة للمشبه به أي الحيوان المفترس، وليس موضوعا للمشبه وهو، الرجل الجرىء، وليس موضوعا أيضا للأعم من المشبه والمشبه به «أي الرجل الجرىء والحيوان المفترس» — كمطلق حيوان جرىء — رجلا كان أو أسدا، إذ لو كان موضوعا للحيوان الجرىء مطلقا لكان إطلاقه على الرجل الجرىء حقيقة، باعتباره من أفراد هذا المطلق — وليس الواقع كذلك — وأيضا لو كان موضوعا للجرىء مطلقا لكان وصفا، لا اسم جنس، وكانت الاستعارة فيه تبعية لا أصلية، والأمر

---

(١) انظر أسرار البلاغة ص ٢٩٩ — ٣٠٢ تعليق النجار طبع الحلبي سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧ م

بخلاف ذلك ، وإذ ثبت أنه لم يوضع لواحد منهما (أى المشبه ولا لأعم من المشبه والمشبه به) — نقلا عن أئمة اللغة كان استعماله فى المشبه إطلاقا للفظ على غير ما وضع له ، وهذا هو معنى المجاز اللغوى .

وبعض البلاغيين يرون انها من قبيل المجاز العقلى بمعنى : أنها تصرف فى أمر عقلى لا لغوى .

ودليلهم : أن من يقول : « رأيت أسدا فى الميدان » ، إنما يريد : أن يثبت معنى الأسدية لرجل شجاع مقدام ، وأن ينقل هذا الرجل من نوع الانسان إلى جنس الأسد ، مدعيا أنه فرد من أفراده ، لأن نقل الاسم وحده ، بدون هذا الادعاء لو كان استعارة .

١ — لكانت الأعلام المنقولة « كيزيد ويشكر » من قبيل الاستعارة ولا قائل بذلك .

٢ — ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة إذ لا أبلغية فى نقل اللفظ مجردا عن المعنى .

٣ — ولما صح أن يقال فيمن قال : « رأيت قمرا يغنى » وأراد « سعاد » مثلا : أنه جعلها قمرا ، أى أثبت لها معناه — كما لا يقال : فيمن سمى بنته قمرا : أنه أثبت لها معنى « القمر » لاستواء الأمرين فى عدم الادعاء المذكور ، مع أنه من المقطوع به : أن من قال : « رأيت قمرا يتحدث ، وأراد : امرأة مشرقة الوجه إنما يريد فى العرف : أن يجعلها قمرا : اى ان يثبت لها معنى القمر ، لأن « جعل » إذا تعدى لمفعولين كان بمعنى « صير » وأفاد إثبات صفة للشىء .

يؤيد ذلك قوله تعالى:(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا)(١)

---

(١) سورة الزخرف آية ١٩

كان المعنى : أنهم أثبتوا لهم صفة الأنوثة واعتقدوا وجودها فيهم - بدليل قوله تعالى : ردا عليهم : أشهدوا خلقهم . ؟ اى فعرفوا انوثتهم .

وإذ ثبت أن اللفظ المستعار إنما نقل إلى المستعار له بعد نقل معناه إليه ، كان استعمال اسم « الاسد » فى الرجل الجرىء مثلا استعمالا للفظ فيما وضع له . فيكون مجازا عقليا ، لا لغويا بمعنى أن العقل اعتبر الرجل الجرى داخلا فى جنس الأسد حقيقة وفردا من أفراده ، واعتبار ما ليس فى الواقع واقعا مجاز عقلى .

ومن هنا صح التعجب فى قول ابن العميد الكاتب المعروف وقد قاله فى غلام جميل قام على رأسه يظلله من حر الشمس :

قامت تظللنى من الشمس　　نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب　　شمس تظللنى من الشمس

أى غلام مشرق الوجه كالشمس :

كما صح النهى عن التعجب فى قول الشريف أبى الحسن .

يامن حكى الماء فرط رقته　　وقلبه فى قساوة الحجر
ياليت حظى كحظ ثوبك من　　جسمك ياواحدا من البشر
لا تعجبوا من بلى غلالته　　قد زر ازراره على القمر

والشاهد فى البيت الأخير ، حيث يريد : على جسم مشرق كالقمر .

فلولا أن ابن العميد ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيقى لما كان لهذا التعجب معنى ، فليس غريبا أن يظلل شخص مشرق الوجه شخصا آخر ويحميه من حرارة الشمس .

كذلك لولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قمرا حقيقة لما كان ثم وجه للنهى

عن التعجب ، لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى حين يلابس القمر الحقيقى — كما يقولون — لاحين يلابس إنسانا بلغ الغاية فى الحسن ، ومثل ذلك قول الشاعر :

ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر فى كل يوم طالع فيها

والمعاجر : جمع معجر على زنة منبر ، وهو ثوب تعتجر به المرأة أى تلتف به والشاهد فيه أن الشاعر جعل صاحبه قمرا حقيقيا ولولا ذلك ماكان هناك وجه هذا الانكار لأن الكتان — كما قلنا — إنما يبليه ملابسته للقمر الحقيقى،لالإنسان مشرق الوجه .

وقد اعترض على هذا الدليل: بأن إدعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى أن يكون لفظ المشبه به مستعملا فيما وضع له،لأن هذا الادعاء مبنى على تنزيل الاستعارة منزلة الحقيقة بتناسى التشبيه الذى بنيت عليه قضاء لحق المبالغة ، حتى أن كل مايترتب على المشبه به يترتب على المشبه — ومن هنا صح التعجب ، والنهى عنه فى الأمثلة المذكورة .

وقيل : إن إصرار المتكلم على ادعا الأسدية مثلا (الرجل الجرىء) ينافى نصبه قرينة مانعة ، من أن يراد الحيوان المعروف .

وقد أجيب عن هذا الاعتراض بأن لامنافاة بين الأمرين ، ووجه التوفيق بينهما هو — على ماذكره السكاكى — أن هذا الادعاء مبنى على جعل أفراد الأسد — بطريق التأويل — قسمين : متعارفا ، وهو الذى له تلك الجرأة ، والقوة فى الهيكل المعروف ، وهو صورة الأسد — وغير متعارف، وهو الذى له هذه الجرأة والقوة لكن لافى الهيكل، بل فى صورة أخرى،هى صورة الإنسان، على نحو ماصنعه المتنبى فى قوله :

نحن قوم ملجن فى زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال

فقوله: (ملجن) جار ومجرور، أى من الجن، فقد عد نفسه وجماعته من الجن لكن فى صورة أناس — كما عد جماله من جنس الطير لكن فى أشخاص جمال — ولفظ (أسد) إنما هو موضوع للقسم المتعارف، فاستعماله فى غير المتعارف استعمال اللفظ فى غير ما وضع له قطعا — والقرينة مانعة من إرادة المعنى المتعارف، ليتعين غير المتعارف.

ومن البناء على التنويع إلى متعارف، وغير متعارف قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى:

وخيل قد دلفت لها بخيل   تحية بينهم ضرب وجيع

فقد جعل التحية نوعين: متعارفا، وهو التحية المعروفة، وغير متعارف وهو الضرب الوجيع، والمقصود الأخير على طريق الاستعارة التهكمية، ودلف الشيخ يدلف من باب ضرب إذا مشى مشيا وئيدا والمراد بالخيل فى الأول: خيل الأعداء، والمراد بالثانى: خيله، والضمير فى (بينهم) للجميع، ووجيع بمعنى موجع.

ومثله قولهم: (عتابك السيف)، (وجوابك الصمم) فقد جعلوا كلا من العتاب، والجواب على نوعين — متعارف، وغير متعارف وقد أريد غير المتعارف.

ومنه قول عامر بن الحارث النميرى ولقبه جران العود:

وبلدة ليس بها أنيس   إلا اليعافير وإلا العيس

والمراد: بالبلدة: (المفازة) و (اليعافير) مفرده يعفور، وهو البقرة الوحشية و (العيس) جمع عيساء، وهى الإبل.

يقول الشاعر: ورب مفازة لا يسكنها إلا الوحوش قطعتها، وسرت فيها، وهنا أيضا جعل الأنيس نوعين: متعارفا، وهو الذى يؤنسك،

ويزيل وحشتك من بنى الانسان ، وغير متعارف ، هو اليعافير والعيس — غير أنه قيل : إن هـــذا من قبيل الاستثناء المنقطع ، فلايقدر فيه دخول المستثنى فى المستثنى منه إلا على رأى بعضهم — أما على رأى الأكثرين وهم الذين يقولون بعدم دخول المستثنى فى المستثنى منه فليس شاهدا على مانحن فيه.

ويظهر أن الخلاف بين القائلين بأن الاستعارة مجاز لغوى وبين القائلين بأنها مجاز عقلى — لفظى، لأن من نظر إلى حقيقة الأمر ووجد أن الكلمة فى الاستعارة مستعملة فى غير ماوضعت له سماها مجازا لغويا .

ومن نظر إلى الادعاء والمبالغة ودخول المشبه فى أفراد المشبه به قال: أنها مجاز عقلى، ولا أحد ينكر دخول المشبه فى جنس المشبه به ولا الادعاء والمبالغة .

الفرق بين الاستعارة والكذب

تفارق الاستعارة الكذب من وجهتين :

الأولى : أن الاستعارة مبنية على التأويل، وهو دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به : بأن يجعل أفراد المشبه به قسمين، متعارفا، وغير متعارف — كما مر بيانه — أما الكذب فلا تأويل فيه .

الثانية : أن الاستعارة لابد فيها من نصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر من اللفظ، مانعة من إرادة المعنى الحقيقى له .

أما الكذب فلا تنصب فيه قرينة على إرادة غير الظاهر .

بل إن قائله ليبذل كل جهده لترويج ظاهره وإظهار صحة باطله .

تقسيم الاستعارة
إلى تحقيقية وتخييلية ومكنية

والتخييلية والمكنية سيأتى الكلام فيهما بمشيئة الله .

وأما التحقيقية : فهى أن يكون المعنى المجازى فيها ، أى المعنى المنقول إليه اللفظ متحققا حسا أو عقلا ، بمعنى أن يكون متقررا ثابتا فى الحس أو العقل، فهى —عند الخطيب— تقابل التخييلية والمكنية كما سنرى .

فالحسى : نحو « رأيت أسداً يخطب فى الكلية » فإن المعنى المجازى وهو الرجل الجرىء أمر متحقق حسا ، بحيث يمكن أن يشار إليه إشارة حسية .

ومن جيد هذا الضرب التشبيه الذى يقع فى الحركات كما فى قول أبى دلامة يصف بغلة فى سيرها :

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا ... برجليها وتخبز باليدين

والشاهد فيه: استعارة لفظى العجن والخبز لحركة البغلة فى سيرها،وهى أمر محقق حسا حقيقة لا خيالا .

والشاعر : شبه حركة رجلى الدابة حيث لم تثبتا فى موضع تعتمد بهما عليه حين ذهابهما نحو يديها — بحركة يدى العاجن،فإنهما أيضا لا تثبتان فى موضع بل تنزلقان إلى الأمام لرخاوة العجين — وشبه كذلك حركة يدى الدابة حين تنثنيان نحو بطنها إلى ضرب من التقوس بحركة يدى الخابز حين يثنيهما نحو بطنه فى نوع من هذا التقويس .

والعقلى : كما فى استعارة النور للحجة فى قولهم: «أبديت نوراً»أى حجة

واضحة ، والحجة من الأمور المقررة فى العقل فالاستعارة فيه تحقيقية — وعليه قوله تعالى: (إهدنا الصراط المستقيم)(١) أى الدين الحق ، وأى معنى أرسخ فى العقائد السليمة من هذا الدين الحنيف ؟ لهذا كانت الاستعارة فيه تحقيقية .

وأما قوله تعالى: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف(٢)) فقد اختلف فى نوع الاستعارة فقيل : أن لفظ « اللباس » فى الآية استعارة عقلية ، لأنه استعير لما يغشى الإنسان ، ويحيط به من آلام الجوع والخوف ، وهو أمر عقلى .

وقيل : استعارته حسية ، لأنه مستعار لما يغشى الإنسان عند إحساسه بالجوع ، أو الفزع . من امتقاع اللون واضطراب ورثاثة الهيئة وتلك أمور حسية .

---

(١) سورة الفاتحة آية ٦
(٢) سورة النحل آية ١١٢

قرينة الاستعارة

الاستعارة مجاز لغوى علاقته المشابهة ، والمجاز لا بد له من قرينة تدل على أن اللفظ مستعمل فى غير ما وضع له .

والقرينة: هى الأمر الذى ينصبه المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير معناه الأصلى .

وهى : نوعان : لفظية ، وغير لفظية .

فالقرينة اللفظية: هى لفظ يلائم المشبه، يأتى به الأديب ليدل به على أن لفظ المشبه به مراد به غير ما وضع له .

مثال ذلك قولنا : « رأيت أسدا يخطب «أى رجل شجاع » « فأسدا » مستعار لهذا الرجل الشجاع، وقرينة الاستعارة لفظ «يخطب» .

وغير اللفظية: هى الأمر الخارج عن اللفظ، يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقى كدلالة الحال أو استحالة المعنى .

فمثال ما قرينته حالية قولك : « رأيت بحراء والسامع يرى رجلا كريما مقبلا، «فبحراء مستعار للرجل الكريم، وقرينة الاستعارة دلالة الحال .

ومثال ما قرينته الاستحالة . قوله تعالى : (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية[1]) شبه كثرة الماء كثرة بالغة بالطغيان بجامع مجاوزة الحد فى كل ، ثم استعير الطغيان الكثرة البالغة ، واشتق منه «طغى» بمعنى كثر حتى جاوز

---

(١) سورة الحاقة آية ١١

الحد، على سبيل الاستعارة التبعية ، والقرينة استحالة صدور الطغيان بمعناه الحقيقى من الماء إذ هو من شأن الإنسان .

والبلاغيون يقولون: إن القرينة تتنوع — أيضا — إلى أمرين :

١ — أن تكون أمرا واحدا، لاتعدد فيه ، وهو الكثير كما فى الأمثلة التى مضت .

٢ — أن تكون أكثر من أمر واحد ، يكون كل منها كافيا فى الدلالة على الاستعارة كما فى قول الشاعر العربى :

فإن تعافوا العـــدل والإيمانا فإن فى أيماننا نيرانا

« تعافوا » تكرهوا و« الإيمان » الأول: بكسر الهمزة : (التصديق)، و(الإيمان) الثانى: بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى الجارحة المعروفة .

يقول: إن كرهتم الإنصاف،وأبيتم إقرار الأمور فى نصابها وأعرضتم عن التصديق بما جاء به النبى ﷺ قسرناكم عليها بما فى أيدينا من سيوف تلمع كشعل النيران ، استعير لفظ النيران للسيوف اللامعة — والقرينة فى كل من (العدل والإيمان) باعتبار تعلق العيافة بهما — والدعوة إلى العدل والإيمان تقاوم الذى يناصبها العداء بالسيف لا بالإحراق .

وقد تكون القرينة معانى ملتئمة، ارتبط بعضها ببعض، بحيث تكون القرينة من مجموعها كما فى قول أبى عبادة البحترى :

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤس الأقران خمس سحائب

شبه أنامل الممدوح بالسحائب ، فى عموم النفع ، ثم استعار لفظ (السحائب) لأنامل يده ، والقرينة على الاستعارة مجموع أشياء وهى : الصاعقة وكونها ساقطة من حد سيفه ، وأنها منقلبة على رءوس الأقران

تفتك بهم ، فوضح من كل ذلك غرضه من لفظ (سحائب) ، وأن المراد بها أنامل يد الممدوح لما بينها وبين السحائب من جامع عموم النفع .

استعارة علم الشخص

لاتجىء الاستعارة فى علم الشخص – لأن معناه جزئى لتشخصه وتعينه خارجا، فتصوره يمنع من وقوع الاشتراك فيه فلفظ (خالد) مثلا لا يصح جعله استعارة لشخص آخر ، بينه وبين (خالد) مشابهة فى شىء ، لأن الاستعارة تقتضى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به باعتباره أحد أفراده وهذا يقتضى عموم المشبه به ، (وخالد) المذكور لاعموم فيه ، إذ لايحتمل غير مسماه الذى وضع له .

أما إذا عرف علم الشخص بوصف ، واشتهر به (كحاتم) علما على الطائى المعروف، فإنه اشتهر بالكرم ، وذاع صيته فيه حتى صار إذا أطلق لفظ (حاتم) فهم منه معنى الكرم . وعلى ذلك يصح جعله كليا . باعتبار هذا الوصف ويصير كأنه موضوع لذى الجود مطلقا، وبهذا الاعتبار صح جعل لفظ (حاتم) استعارة لأى شخص كريم .

وتجىء الاستعارة أيضا من(مادر) المشهور بصفة البخل وجميع الأسماء المشهورة بصفات والتى قدمناها لك آخر باب التشبيه .

تقسيم الاستعارة

تنقسم الاستعارة عدة تقسيمات تختلف باختلاف الاعتبارات .

تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين :

تنقسم الاستعارة باعتبار طرفيها (المستعار له والمستعار منه) إلى قسمين: وفاقية وعنادية .

فالوفاقية : ما يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لما بين الطرفين من التوافق . كقوله تعالى:(أو من كان ميتا فأحييناه(١) ؟) والشاهد فى«أحييناه» فإن المراد به: هديناه فقد استعار الأحياء للهداية بجامع ترتب الانتفاع فى كل والأحياء والهداية مما يتأتى اجتماعهما فى شىء واحد فاستعارة الأحياء للهداية إذاً وفاقية .

ومن الوفاقية أيضا استعارة الحياة للذكر فى قول اليزيدى :

ولقد سموت بهمتى وسما بها ... طلبى المكارم بالفعال الأفضل

لأنال مكرمة الحياة وربما ... عثر الزمان بذى الدهاء الأحول

يريد:لأنال مكرمة «الذكر الطيب»، والذكر والحياة متوافقان .

والعنادية : مالا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لما بين الطرفين من التعاند، كما فى استعارة لفظ «ميت» للضلال كما فى قوله تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه) أى ضالا فهديناه ، شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفى الانتفاع فى كل،واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال،

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢

ميتا بمعنى ضالا ، وهى عنادية ، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال فى شيء واحد .

وقد يستعار اسم « الميت » لمن تيمه الحب كقول المتنبى :

فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها ولم تر قبلى ميتا يتكلم

يريد متيما يتكلم .

ثم العنادية — قد تكون تمليحية ، أى المقصود منها التمليح والظرافة ، وقد تكون تهكمية — أى المقصود منها التهكم والاستهزاء ، بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف ، فى ضده أو نقيضه ، ونزل فيهما التضاد أو التناقض بمنزلة التناسب .

نحو : « رأيت أسداء زيد : جبانا ، قاصدا التمليح والظرافة ، أو التهكم والسخرية .

فقد شبه الجبان بالأسد ، ووجه الشبه «الشجاعة» ، وإن كانت الشجاعة فى الجبان تنزيلية ، ثم استعير إسم الأسد للجبان ، فإذا قصد المتكلم من هذا المثال : التهكم والهزء بالمقول فيه كانت الاستعاره تهكمية . وإن كان الغرض الحامل : بسط السامعين، وإزالة السآمة عنهم، بتصوير القبيح فى صورة الحسن كانت الاستعارة تمليحية . والجبن والشجاعة لا يجتمعان فى شيء واحد ، فهى عنادية .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : (فبشرهم بعذاب أليم[1]) نزل التضاد بين التبشير والإنذار منزلة التناسب بينهما ، ثم شبه الإنذار بالتبشير ثم استعير اسم البشارة للإنذار ، ثم اشتق من البشارة بمعنى الانذار « بشر » بمعنى

---

(١) سورة عمران آية ٢١

أنذر على سبيل الاستعارة التهكمية ، وهى عنادية ، لأن التبشير والإنذار مما لايجتمعان فى شىء واحد .

ومثله قوله تعالى : (فاهدوهم إلى صراط الجحيم(٢)) ، نزل التضاد بين الهداية التى هى الدلالة بلطف ، وبين الأخــذ بمجامع الشىء وجره بقهر وعنف منزلة التناسب ، ثم شبه الأخذ العنيف بالهداية بجامع ما يترتب على كل من الخير ، وإن كان تنزيليا فى المشبه ، ثم استعير لفظ « الهداية » للأخذ بالقهر والعنف واشتق منه « اهدوهم » بمعنى جروهم بعنف وقسوة على سبيل الاستعارة التهكمية ، وهى عنادية لعــدم تأتى اجتماع اللطف والعنف فى شىء واحد .

٢ — تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الجامع هو ما قصد اجتماع الطرفين فيه ، وهى مايسمى فى باب التشبيه : « وجه الشبه » ، وفى باب الاستعارة يسمى « الجامع » لأنه جمع المشبه مع أفراد المشبه به تحت مفهومه ، وأدخله فى جنسه ادعاء .

ويشترط فى الجامع أن يكون فى المستعار منه أقوى ، لأن الإستعارة مبنية على المبالغة فى التشبيه . والمبالغــة تقضى إلحاق المستعار له بما هو أقوى فى الجامع .

وللاستعارة باعتبار هذه الجامع تقسيمان :

التقسيم الأول :

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع إلى قسمين : داخلية ، وغير داخليه .

---

(١) سورة الصافات آية ٢٣

فالداخلية : أن يكون الجامع فيها داخلا فى مفهوم الطرفين — المستعار والمستعار منه ، نحو قوله عليه الصلاة والسلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة طار إليها ، أو رجل فى شعفة ، فى غنيمة له يعبد الله حتى يأتيه الموت » . والهيعة : الصيحة التى يفزع منها ، وأصلها من هاع يهيع إذا جبن ، والشعفة : رأس الجبل ، والمعنى : خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه ، واستعد للجهاد فى سبيل الله ، أو رجل اعتزل الناس وسكن فى رءوس بعض الجبال فى غنم له قليل يرعاها ، ويكتفى بها فى أمر معاشه ، ويعبد الله حتى يأتيه الموت ، استعار الطيران للعدو ، والجامع داخل فى مفهومهما . إذ الجامع بين العدو والطيران هو قطع المسافة بسرعة ، وهو داخل فى مفهوم العدو والطيران إلا أنه فى الطيران أقوى منه فى العدو .

ومنه قول امرأة من بنى الحارث ترثى قتيلا :

لو يشا طار به ذو ميعة لاحق الآطال نهد ذو خصل

الميعة : نشاط الشباب ، والآطال : جمع إطل بكسر فسكون أو بكسرتين ، وهو الخاصرة ولاحق الآطال ضامرها ، وهو من دواعى النشاط وخفة الحركة ، والنهد : الفرس الجميل الجسم ، والخصل : جمع خصلة ، وهى : اللفيفة من الشعر . يريد : أنه ذو شعر متدل .

يقول : لو أنه أراد النجاة لفاز بها ، فقد كان تحته فرس قوى ، ولكنه آثر أن يموت كريما عن أن يحيا هزيلا — والشاهد فى استعارة الطيران للعدو ، على نحو ما تقدم .

ومثله قول بعض العرب :

فطرت بمنصلى فى يعملات دوامى الأيد يخبطن السريحا

المنصل : بضم الميم مع ضم الصاد أو فتحها السيف . واليعملات : جمع

بعمله وهى الناقة النجيبة ، ودوامى الأيدى : من إضافـــة الصفة إلى الموصوف . أى الأيدى الدوامى ، وهى التى تسيل دماؤها ، والسريح : السير يقد من الجلد .

يقول : إنه قام بسيفه مسرعا إلى نوق له فعقرها فدميت أيديهن . وخبطن السيور المشدودة على أرجلهن من حدة الألم ، يصف نفسه بالجود ، حتى أنه ليبذل فى اكرام ضيفه أكرم نوقه .

والشاهد فى استعارة الطيران للسير السريع ، والجامع بينهما أيضا : قطع المسافة بسرعة وهو داخل فى مفهوم المستعار له والمستعار منه .

ومنه قوله تعالى : (وقطعناهم فى الأرض أمما (١)) .

والمعنى : وفرقناهم ـ شبه تفريق الجماعة بالتقطيع بجامع إزالة الاجتماع فى كل ، ثم استعير لفظ التقطيع للتفريق ، ثم اشتق منه ، « قطع » بمعنى فرق ـ والجامع الذى هو : إزالة الاجتماع داخل فى مفهوم التقطيع وداخل أيضا فى مفهوم التفريق .

وكاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين ، وتفريقهم بغير نظام فى قول أبى الطيب

نثر تهمو فوق الأحيدب نثرة   كما نثرت فوق العروس الدراهم

والأحيدب : على صورة التصغير اسم جبل بالروم .

يصف الشاعر الممدوح بأنه شتت شمل المهزومين من أعدائه ومزق أشلاءهم دفعة فانتشروا فى غير نظام ولا ترتيب كانتثر الدراهم فوق العروس والجامع بين الطرفين هو التفريق بين الأشياء بلا نظام وهو داخل فى مفهومهما .

ومن هذا القسم أيضا قول البحترى :

يتراكمون على الأسنة فى الوغى   كالفجر فاض على نجوم الغيهب

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٦٨ :

ينسيك جود الغيث جود همو إذا   عثرت أكفهمو بعام مجدب

يصف هؤلاء القوم بالشجاعة والسماحة ، فيقول : إنهم شجعان بواسل يندفعون بقوة وصبر إلى مواطن الموت أشبه مايكون بالفجر ينبسط دفعة ، فينشر نوره على الكون ، وأنهم كرام ، لهم فى البذل والعطاء أيام القحط ماينسى غيث السماء

والشاهد فى الشطر الثانى من البيت الأول ، فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه خاص ، وهو أن يفارق مكانه دفعة ، فينبسط ، وقد استعير الفجر عند انتشاره لمشابهته له فى ذلك ، والجامع بين فيض الماء ، وانتشار الفجر مفارقة الشىء مكانه دفعة وانبساطه ، وهو داخل فى مفهوم الطرفين ومنه استعارة الخياطة لسرد الدروع فى قول القطامى

لم تلق قوما همو شر لأخوتهم
منا عشية يجرى بالدم الوادى

نقريهمو لهذميات نقد بها   ما كان خاط عليهم كل زراد

نقريهمو : من القرى وهو : مايقدم للضيف من طعام ، اللهذميات : السيوف القواطع مفرده لهذم ، والزراد . صانع الزرد بالتحريك وهو الدرع ، وسمى الأعداء إخوة باعتبار أنهم جميعا من فصيلة العرب .

يصف قومه بالشجاعة والإقدام ، فيقول : لاترى قوما هم أشد خطرا على الأعداء وأقوى شكيمة عليهم منا ، حين تشتد الحرب ، ثم وضح فى البيت مقدار فتكهم بأعدائهم بقوله : نقدم لهم أمضى سيوفنا فنشق عنهم الدروع ونفرى الضلوع ، وعبر بقوله : « نقريهم » بمعنى نطعمهم على سبيل التهكم والسخرية .

والشاهد فى البيت الثانى : حيث استعار لفظ « الخياطة » للسرد بجامع ضم الأشياء بعضها إلى بعض ، فالخياطة ضم خرق القميص ، والسرد ضم حلق الدروع ، فالضم إذاً داخل فى مفهومهما وهو فى الأول أشد .

وغير الداخلية .

هى أن يكون الجامع فيها غير داخل فى مفهومى طرفيها كما فى استعارة الأسد للرجل الشجاع ، فى قولك :

« زيد كالأسد » فالجامع بين الطرفين الجرأة أو الشجاعة وظاهر أن الشجاعة عارض للأسد لا داخل فى مفهومه .

وكذلك استعارة الدرر الكواكب فى قولك : أبصرت دررا فى السماء تتألق ، فالجامع التألق واللمعان . وهو عارض غير داخل فى مفهوم الطرفين

ومنه استعارة الشمس للوجه المتهلل ، فى قولك : « رأيت شمسا فى دارنا » تريد رجلا مشرق الوجه ، والجامع التهلل والإشراق وظاهر أن الجامع عارض غير داخل فى مفهوم الطرفين . كما ترى .

التقسيم الثانى :

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع أيضا إلى قسمين :

عامية ، وخاصية

فالعامية :

وهى المبتذلة : ماوضح فيها الجامع ، بحيث يدركه العامة كاستعارة « الأسد » للرجل الجرىء ، فإن الجامع ، وهو « الجرأة » أمر واضح ، فى متناول مدارك العامة لاشتهار الأسد بها ـ وسميت عامية مبتذلة لكونها فى متناول كل أحد .

والخاصية :

وهى الغريبة : هى التى لايدرك الجامع فيها إلا من ارتفع عن طبقة العامة .

والغرابة قد تكون فى نفس المشبه : بأن يكون تشبيها فيه نوع غرابة كما فى قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان فى وصف الفرس بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل صاحبه عنه ، وألقى عنانه فى قربوس سرجه، وقف مكانه إلى أن يعود إليه :

عودته فيما أزور حبائبى   إهماله وكذاك كل مخاطر
وإذا احتبى قربوسه بعنانه   علك الشكيم إلى انصراف الزائر

وقربوسه : مقدم السرج ، أو الشكيم ، وكذا الشكيمة : وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، و «علكها» ، لاكها ومضغها ، وقد أراد بالزائر : نفسه ، وإنما عبر عن نفسه بالزائر ، لدلالته على كمال أدب فرسه ، وأنه لا يبرح مكانه وإن طال مكثه عند مزوره

يصف الشاعر فرساً له بأنه مؤدب : إذا نزل عنه ، وألقى عنانه فى قربوس سرجه ، لا يبرح مكانه حتى يعود إليه . شبه هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج - بهيئة الثوب فى موقعه من هيئة ركبتى المحتبى ، ثم استعار لفظ « الاحتباء » لهذه الهيئة ، وهى : جمع القربوس مضموما إلى جانبى الفم التى تشبه هيئة الاحتباء ، وهو أن يجمع المحتبى ركبتيه منضمتين إلى بطنه بنحو ثوب يمتد من الركبتين إلى الظهر لجاءت الاستعارة غريبة لكونها على نمط غير مألوف ، لا يقع فى كلامهم إلا نادرا - ذلك : أن الانتقال إلى معنى الإحتباء ، عند استحضار هيئة موقع العنان من القربوس فى غاية الندرة لما بين المعنيين من البعد ، مع ما فى الوجه من كثرة الاعتبارات الموجبة لصعوبة إدراكه ، وبعده عن الأذهان .

ومن الاستعارة الخاصية الغريبة قول طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل

الكور : بضم الكاف : رحل البعير ، والناجية : الناقة السريعة ، والاقتيات : اتخاذ القوت ، « والسنام » : الجزء المرتفع من ظهر الناقة .

يقول . إن شحم سنام الناقة تضاءل ، وضمر لطول عهد الرحل به ، وكأن الرحل يقتات منه ، يصف نفسه بكثرة الأسفار .

والشاهد فيه : استعارة الاقتيات ، لإذهاب الرحل ، شحم السنام ، ثم اشتق من الاقتياط بمعنى إذهاب الشحم « يقتات » بمعنى يذهب ويزيل ولا يخفى على الذوق البلاغى لطف وغرابة استعارة الاقتيات لإذهاب الشحم .

ومن هذا النوع قول الشاعر :

يناجينى الإخلاف من تحت مطله
فتختصم الآمال واليأس فى صدرى

« يناجينى » من المناجاة وهى المسارة وقد استعيرت للخطور بالبال فجاءت الاستعارة غريبة لخفاء الجامع بين الطرفين ، وهو الحضور فى الذهن بطريق لطيف .

وقد يتصرف فى الاستعارة العامية بما يخرجها من الابتذال إلى الغرابة : بأن يضم إليها تجوز لطيف اقتضته الحال كما فى قول كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت إلى دهم المهارى رحالنا فلم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح

يقول : ولما انتهينا من قضاء المناسك وكان طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ، ابتدأنا الحديث آخذين بأطرافه ، شأن الرفاق فى السفر ، تشملهم الغبطة وتطيب نفوسهم فلقد وفقوا فى قضاء فريضة الحج ورجا كل منهم العودة إلى أهله وذويه ، وتنسم روائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهانى والتحايا من الخلان — بينما المطى سارت فى الأباطح سيراً حثيثاً فى لين وسلاسة كسيلان الماء ،

والشاهد فى قوله :«وسالت بأعناق المطى الأباطح» فقد شبه سير المطى فى الأباطح بسيلان الماء فيها ، ثم استعارة سيلان الماء للسير اللين السلس، ثم اشتق منه«سالت» بمعنى سارت حثيثاً فى لين وسلاسة —فهذه الاستعارة — كما ترى عامية ، يدركها الخاصة والعامة — غير أن كثير عزة تصرف فيها بما جعلها غريبة . لا يدركها إلا الخواص .

ذلك : أنه — بعد أن استعار فعل«السيلان»لسير الأبل الحثيث السلس، حتى أفاد كأن سيولا جرت فى تلك الأباطح — وأسند الفعل المستعار وهو «سالت» إلى الأباطح ، دون «المطى» الذى حقه أن يسند إليه ، فأفاد هذا الأسناد : أن الأباطح امتلأت بالإبل إلى حد يخيل للناظر : أن الأباطح هى التى تسيل إذ أن نسبة فعل الحال إلى المحل تشعر بشيوع الحال فى المحل، وكأن كل مكان من هذه الأباطح سائر .

ومما زاد الاستعارة دقة وغرابة : أنه أدخل الأعناق فى السير ، لأن السرعة والبطء يظهران غالبا — فى أعناق الدواب، فقد أضاف إلى الإستعارة المذكورة مجازين عقليين — أحدهما صريح وهو إسناد الفعل إلى«البطائح» والآخر مقدر ، وهو اسناد الفعل ، إلى «الأعناق» ، لأن الواقع أن الدابة تستعين فى سيرها بهز الأعناق وكأن الأعناق أيضاً تسير (١) .

---

(١) راجع أسرار البلاغة ص ٢٩ — ٣٢ مراجعة النجار طبع الحلبى .

ومن هذا أيضاً قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حــين دعا
أنصاره بوجـــوه كالدنانير

يقول : يلبي أنصاره نداءه بوجوه مشرقة متهللة ، والمراد : أنه سيد مطاع فى قومه لايدعوهم لخطب إلا لبوا نداءه مسرعين ، حتى كأنهم السيل ينصب من كل مكان .

والشاهد فيه : استعارة السيلان للسير الحثيث السلس بجامع السهولة والسلاسة فى كل وهذا ليس غريباً ولكن إسناد السيلان إلى الشعاب يفيد أن أنصاره قد ملئوا الشعاب وكأن الشعاب تسير بهم وكذلك تعلق الجار والمجرور «بوجوه» بالفعل، نقل الاستعارة من الابتذال إلى الغرابة .

٣ — تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار إلى ستة أقسام : ذلك أن المستعار له والمستعار منه .

١ — إما حسيان .

٢ — أو عقليان .

٣ — أو المستعار منه عقلى والمستعار له حسى.

٤ — أو المستعار منه حسى والمستعار له عقلى.

فالجامع فى الثلاثة الأخيرة عقلى لاغير لما سبق فى مبحث التشبيه: من أن وجه الشبه — وهو المسمى هنا بالجامع — لابد أن يقوم بالطرفين — فإذا كان كلاهما: أو أحدهما عقلياً وجب أن يكون الجامع عقلياً ،لأن الحسى

لا يقوم بغير حسى — كما علمت — وأما الأول وهو الذى يكون المستعار له حسياً والمستعار منه حسياً فالجامع يجوز أن يكون عقلياً أو حسياً أو مختلفاً .

فهذه أقسام ثلاثة إذا اضمت إلى الثلاثة السابقة تصبح الأقسام ستة إليك بيانها :

١ — استعارة محسوس لمحسوس، والجامع حسى كما فى قولك : «رأيت قينة ذات جناحين على غصن شجرة» فالمستعار منه المغنية ، والمستعار له البلبل ،وهو طائر معروف بحسن الصوت والجامع الصوت الحسن، والجميع حسى ومثله قول الشاعر :

بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعى
عقيقاً فصار الكل فى نحرها عقداً

فقد استعار اللؤلؤ للدمع بجامع الصفاء والتألق ، والجميع حسى .

وعليه قوله تعالى : (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض(١))،والشاهد فى «يموج» فالمستعار منه حركة الماء الموصوفة بالتموج والاضطراب — والمستعار له الحركة والاختلاط الناشئان عن الحيرة والارتباك ، والجامع بينهما ما يشاهد فى كل من الحركة الشديدة والاضطراب والجميع حسى ، وفى إجراء هذه الاستعارة تقول : شبه تزاحم القوم وتدافعهم بتلاطم الأمواج بجامع ما يشاهد فى كل من الاضطراب ، ثم استعير لفظ المشبه به. وهو تلاطم الأمواج للمشبه الذى هو التزاحم والتدافع ثم اشتق منه «يموج» بمعنى يتزاحم ، ويتدافع على سبيل الاستعارة التبعية كما ستعرف .

---

(١) سورة الكهف آية ٩٩

٢ — استعارة محسوس لمحسوس والجامع عقلي كما في قوله تعالى: (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون(١)) فالمستعار منه كشط الجلد وسلخه عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة ضوء النهار، وانتزاعه عن مكان الليل، وكلاهما حسي، والجامع بينهما عقلي، إذ هو ترتب أمر على آخر، والترتب في ذاته أمر عقلي — في المستعار منه ترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وسلخه. وفي المستعار له ترتب ظهور الظلمة على محو ضوء النهار وإزالته، ويقال في إجراء هذه الاستعارة: شبه إزالة ضوء النهار عن موضع الظلمة بسلخ الجلد عن الشاة أو نحوها بجامع ترتب أمر على أمر، ثم استعير لفظ المشبه به وهو السلخ للمشبه الذي هو إزالة الضوء، ثم اشتق منه نسلخ بمعنى ننزع.

٣ — استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف: بعضه حسي وبعضه عقلي كما في قولك: «رأيت بدراً يتحدث»، تريد إنساناً كالبدر في حسن الطلعة، ونباهة الشأن، فالأول حسي، والآخر عقلي.

٤ — استعارة معقول لمعقول كما في قوله تعالى: (من بعثنا من مرقدنا(٢)) فإن المستعار منه الرقاد، أي النوم، والمستعار له الموت، والجامع بينهما عدم ظهور الفعل والجميع عقلي، وقال بعضهم:

عدم ظهور الفعل في الموت أقوى، وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى، فليجعل الجامع هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر، وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى مع قوله تعالى: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون).

---

(١) سورة يس/٣٧

(٢) سورة يس آية ٥٢

٥ — إستعارة محسوس لمعقول كما فى قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر(١)) والخطاب للنبى ﷺ: أى بلغ الأمة الأحكام والشرائع التى أمرت بتبليغها واضحاً، لالبس فيه ولاغموض، فالمستعار منه كسر الزجاجة ونحوها لايلتئم بعد الكسر، وهو حسى والمستعار له تبليغ الرسالة للمرسل إليهم، وهو عقلى والجامع بينهما التأثير فى الشيء، بحيث لا يعود إلى ما كان عليه، وهو عقلى — والمعنى: ابن الأمر إبانة، لايعود معها إلى الخفاء — كما أن صدع الزجاجة لاتعود معه إلى الإلتئام.

٦ — إستعارة معقول لمحسوس كما فى قوله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية)(٢) أى لما كثر الماء، فالمستعار منه: التكبر والتعالى وهو عقلى، والمستعار له: كثرة الماء، وهو حسى، والجامع بينهما الخروج عن حد الاعتدال، وهو عقلى.

٤ — تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار:

تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين: أصلية، وتبعية.

فالأصلية: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس(١) غير مشتق: حقيقة، أو تأويلا — سواء كان اسم عين «كالأسد»، أو اسم معنى كالضرب. والقتل.

فمثال اسم الجنس الحقيقى وهو اسم عين لفظ «أسد» من نحو قولك: «رأيت أسدا يخطب فى الكلية» تريد إنسانا شجاعا فقد أستعير لفظ «أسد»

---

(١) سورة الحجر آية ٩٤

(٢) سورة الحاقة آية ١١

(٣) والمراد باسم الجنس: الماهية الصالحة لأن تصدق على كثيرين.

الإنسان الشجاع ، استعارة أصلية ، لأن اللفظ المستعار ، وهو «أسد» اسم جنس حقيقة إذ يصدق على كل فرد من أفراده .

ومثال اسم الجنس — وهو اسم معنى ، قولك : «آلمنى قتل على أخاه» تريد إذلاله إياه ، فاستعارة «القتل» الذى هو المشبه به للمشبه الذى هو : (الإذلال) إستعارة أصلية . لأن اللفظ المستعار وهو (القتل) اسم جنس معنى . ويقال فى إجرائها : شبه الإذلال بالقتل بجامع الآلام الشديد فى كل ، ثم ادعى أن الإذلال داخل فى جنس القتـل وفرد من أفراده ثم استعير القتل الإذلال .

ومثال اسم الجنس التأويلى ، وهو إسم عين لفظ (حاتم) ونحوه من كل علم اشتهر مدلوله بنوع من الوصف كسحبان المشهور بالفصاحة ، وباقل المشهور بالعى ، ومادر المشهور بالبخل وغيرهم ، كما فى قولك : (زرت اليوم حاتما) ، تريد : رجلا كريما ، فلفظ (حاتم) علم على الذات المعروفة ، ولـكن تؤول فيه ، فجعل إسم جنس موضوعا لمطلق ذات متصفة بالـكرم — ومن هنا صح جعله استعارة لـكل كريم بادعاء دخوله فى جنس «حاتم» وجعله فردا من أفراده باعتبار مفهومه الـكلى ، بالتأويل السابق .

وعلى ذلك تـكون استعارة «حاتم» للرجل الـكريم «أصلية» ، لأن اللفظ المستعار ، وهو «حاتم» اسم جنس تأويلا إذ يصدق بالتأويل — على كل فرد من أفراد الـكريم .

وكانت الأعلام المتضمنة معنى الوصف : اسم جنس تأويلا ولم تـكن من المشتق الآتى بيانه بعد — لأن الوصف فيها ليس جزء مدلولها وضعا ، بل هو لازم لها ، غير داخل فى مفهومها — «فسحبان» مثلا إنما أطلق على الرجل المعروف باعتبار ذاته ، لا باعتبار وصف «الفصاحة» ، إذ أن الفصاحة عرض له ، والتصقت به ولزمته فيما بعد بخـلاف المشتق «كالـكريم» مثلا فإنه

موضوع للذات باعتبار ماتضمنته من وصف الكرم، فهو داخل فى مفهومه وضعاً .

وسميت الاستعارة أصلية . نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب فهى أكثر وجودا فى الكلام من التبعية الآتية بعد — أو نسبة إلى الأصل ، بمعنى ماانبنى عليه غيره ولاشك أنها أصل للتبعية لبنائها عليها — كما سنرى .

والتبعية : هى ما كان اللفظ المستعار فيها فعلا أو اسما مشتقاً أو حرفا .

وتأتى الاستعارة التبعية فى الفعل باعتبار مادته وهى حروفه الدالة على الحدث مثل قولك: «نطقت الحال بكذا» .

فالنطق : وصف للإنسان ، لا للحال ، وإنما توصف الحال بالدلالة وتقرير الاستعارة فيه أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة بالنطق فى إيضاح المعنى ، ثم استعير النطق للدلالة الواضحة فصار النطق بمعنى الدلالة الواضحة ، ثم اشتق من النطق بهذا المعنى : « نطقت » بمعنى « دلت» على سبيل الاستعارة التبعية .

وتأتى الاستعارة التبعية فى الفعل أيضا باعتبار صيغته ، وهى : الهيئة الدالة على الزمان كما فى صيغتى الماضى والمضارع ، كقوله تعالى :(أتى أمر الله فلاتستعجلوه[1]) فأمر الله لم يأت بعد ، وإنما سيأتى ، بدليل قوله تعالى : «فلا تستعجلوه » فكان الأصل أن يقال: «يأتى أمر الله» ، بصيغة المضارع ، لكن عبر بصيغة الماضى على سبيل المجاز وليفيد أن هذا « الأمر » محقق الوقوع ، ويقال فى إجرائها: شبه الإتيان فى المستقبل بالإتيان فى الماضى فى

---

(١) سورة النحل آية ١

تحقق الوقوع ، ثم استعير لفظ الإتيان بهذا المعنى واشتق منه «أتى» بمعنى «يأتى» على سبيل الاستعارة التبعية .

وتأتى الاستعارة التبعية فى الصفات المشتقة — كاسمى الفاعل والمفعول مثل: «عظيم فعالك ناطق بكل حالك» : أى دال عليه ،فى «ناطق» استعارة تبعية — وإجراؤها أن تقول:شبهت الدلالة الواضحة بالنطق فى إيضاح المعنى ثم استعير «النطق» للدلالة الواضحة،ثم اشتق من النطق بهذا المعنى : «ناطق» بمعنى «دال» على سبيل الاستعارة التبعية .

وواضح فى استعارة الفعل ، والاسم المشتق : أن التشبيه فيهما أجرى أولا فى مصدرهما لا فى ذاتهما .

فنى قولنا : «نطقت الحال» أى دلت، يقدر تشبيه الدلالة بالنطق ، وفى قولهم: «رفع مقتولك أمره إلى الحاكم» يقدر تشبيه الضرب الشديد بالقتل.

فكانت الاستعارة فى الفعل وسائر المشتقات تبعية لجريانها فيهما تبعا لجريانها فى مصادرهما ، فتشبيه الدلالة بالنطق فى المثال السابق يتبعه تشبيه دل بنطق ،واستعارة (النطق للدلالة) يتبعه استعارة (نطق لدل) لأن الفعل مشتق من المصدر فكل تصرف يجرى فى المصدر ،يجرى نظيره فى الفعل ، وكذلك سائر المشتقات .

واعتبر البلاغيون التشبيه والاستعارة فى المصدر قبل إعتبارهما فى الفعل وسائر المشتقات، لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات،فهو الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والاستعارة — أولا —

وقال بعض البلاغيين فى تعليل كون الاستعارة فى الفعل وسائر المشتقات تبعية:إن الاستعارة تعتمد التشبيه ، وتنبنى عليه ، والتشبيه يقتضى اتصاف طرفيه بوجه الشبه ، ولا يصلح للموصوفية إلا الحقائق الثابتة.كما فى قولك :

(جسم أبيض). وبياض صاف ، أما ما كان مدلوله متجددا ، أى غير ثابت كمعانى الأفعال ،والصفات المشتقة،فلا يصلح للموصوفية،فلايصح فيه التشبيه فلاتجرى فيه الاستعارة :

وكانت مدلولاتها غير متقررة لدخول الزمان — وهو غير قار الذات — فى مفهوم الأفعال،ولزومه للصفات .

واعترض على هذا القول: بألانسلم بأن الحقائق الثابتة وبعدها فحسب هى التى يمكن وصفها،إذ قد صح أن يوصف كل من الحركة والزمان، فيقال (حركة بطيئة)،و(زمان عصيب) مع القطع بعدم تقررهما،وثباتهما، كما صح أن يوصف الشجاع بالبسالة:(والجواد) بالفيض،والعالم بالتحرير،فيقال: جواد فياض . وعالم نحرير .

فالرأى القوى فى كونها تبعية أو لم سميت تبعية؟هو:جريان الاستعارة فى المشتقات تبعا لجريانها فى مصادرها،لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات فهو أسبق فى الاعتبار وأولى .

وتأتى الاستعارة التبعية فى الحرف : مثالها قوله تعالى : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا[1]) .

والاستعارة التبعية فى الآية الكريمة فى اللام التى فى قوله :(ليكون) وتسمى لام العلة وهى موضوعة لترتب مابعدها على ماقبلها ترتب العلة على المعلول كما فى قولك : (جئت إلى الكلية لأطلب العلم من منابعه) فإن طلب العلم مترتب على المجىء وعلة باعثة عليه .

ولكن (لام العلة) فى الآية الكريمة ، مستعملة فى غير ماوضعت له ،

---

(١) سورة القصص آية ٨

لأن مابعدها — وإن كان مترتبا على ماقبلها — ليس علة باعثة عليه — ذلك أن آل فرعون لم يلتقطوا موسى عليه السلام ليكون لهم عدوا وحزناً ، وإنما التقطوه ليكون قرة عين لهم وسرورا، لكن لما كانت نتيجة التقاطهم هى العداوة والحزن، لا المحبة والسرور، كانت اللام استعارة لاستعمالها فى غير ماوضعت له لعلاقة المشابهة .

واللام من الحروف ، ونحن نعرف أن الحروف لا تدل على معنى فى نفسها بل تدل على معنى فى غيرها - ومن هنا لا يصح جعل أحد الحروف مشبها أو مشبهاً به،لأننا لو جعلنا أى حرف مشبها أو مشبها به لدل على معنى فى نفسه وهذا من خصائص الأسماء .

لذلك أراد البلاغيون أن يجروا الاستعارة بعيدا عن الحروف حتى لا يقعوا فى ذلك المحظور .

فالخطيب القزوينى أجرى الاستعارة فى الحرف فى متعلق الجـــار والمجرور فمثلا يقول فى إجراء الاستعارة فى الآية الكريمة (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا .

شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط فى الواقع - والعداوة والحزن - جار ومجرور ، لأنهما مدخول لام العلة - وهذا هو المشبه . بالعلة الحقيقية التى هى المحبة والسرور،وهذا هو المشبه به - ووجه الشبه مطلق ترتب شىء على شىء ، ثم استعيرت (اللام) الموضوعة لترتب العلة الحقيقية على الالتقاط ،لترتب غير العلة الحقيقية عليه على سبيل الاستعارة التبعية .

فالخطيب القزوينى يجرى الاستعارة فى الحرف بعد إجراء التشبيه فى مجروره،وهذا أولى، لأن الحرف فى حاجة إلى ذكر المجرور ، فالأحسن أن يكون التشبيه فيه لا فى غيره .

وحينئذ تكون الاستعارة فى الحرف تبعاً للتشبيه فى مجروره
أما مذهب الجمهور فى استعارة الحرف فهو: أنهم يعقدون التشبيه فى متعلق معنى الحرف، والمراد بمتعلق معنى الحرف: المعنى الكلى الذى يستلزمه المعنى الجزئى للحرف، فلفظ (فى) مثلا، موضوع لمعنى جزئى هو الظرفية الخاصة فى نحو قولك (الماء فى الكوز)، وهذا المعنى الجزئى يتعلق بمعنى كلى: هو مطلق ظرفية شىء فى شىء، ومعنى تعلقه به: استلزامه له إذ الخاص يستلزم العام - ولام العلة كذلك موضوعة لمعنى جزئى هو ترتب علة خاصة على معلول خاص كما فى قولك: (حضرت إلى الكلية لأتلق العلم من منبعه) وهذا المعنى الجزئى يتعلق بمعنى كلى هو مطلق ترتب شىء على شىء.

والجمهور يقولون فى إجراء آية الالتقاط: شبه مطلق ترتب علة واقعية كالعداوة والحزن على الالتقاط: بمطلق ترتب علة غائية، كالمحبة والسرور على الالتقاط، بجامع مطلق ترتب شىء على شىء فسرى التشبيه من هذين الكليين إلى جزئياتهما، ثم استعيرت - بناء على التشبيه الحاصل بالسراية - (اللام) الموضوعة لجزئى من جزئيات المشبه به (وهو ترتب المحبة والسرور المتعلقتين بموسى عليه السلام) لجزئى من جزئيات المشبه (وهو ترتب العداوة والحزن المتعلقتين أيضا بموسى عليه السلام) على سبيل الاستعارة التبعية.

ومن الاستعارة التبعية فى الحرف قولهم: (خالد فى نعمة) فلفظ (فى) موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين كما فى نحو: (الماء فى الكوز) وإذا فالحرف المذكور مستعمل فى غير ما وضع له فى مثل (خالد فى نعمة) لأن النعمة لا تصلح للظرفية الحقيقية - لكن لما كانت النعمة متمكنة من خالد تمكن الظرف من المظروف الحقيقيين شبهت النعمة بالظرف الحقيقى فى هذا التمكن، واستعمل فيه لفظ (فى) تجوزا على سبيل الاستعارة التبعية

وإجراؤها على مذهب الخطيب تقول شبهت النعمة بالظرف الحقيقى

بجامع التمكن فى كل ثم استعرنا جزئية من جزئيات المشبه به وهو (فى) للمشبه وهو (نعمة) على سبيل الاستعارة التبعية .

وإجراؤها على مذهب الجمهور يقال : شبه مطلق تلبس شىء لا يصلح للظرفية (كالنعمة) بشىء آخر : بمطلق تلبس ظرف بمظروف ، بجامع مطلق تلبس شىء بشىء، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، ثم استعير لفظ (فى) من أحد جزئيات المشبه به لأحد جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التبعية .

وسميت الاستعارة فى الحرف تبعية - على المذهبين - لأنها تابعة للتشبيه فى مجرور الحرف - على رأى الخطيب - أو لأنها تابعة للتشبيه فى متعلق معنى الحرف - على رأى الجمهور .

ومما يتصل بالاستعارة التبعية فى الحرف : أن (يا) حرف وضع فى أصله لنداء البعيد ، ثم استعمل فى مناداة القريب تشبيها له بالبعيد لاعتبار ما كقولك لمن سها وغفل : (يافلان) وإن كان قريبا - وكما فى قول القائل : (يا الله) و (يارب) وهو أقرب إليه من حبل الوريد. فاستعمال (يا) هنا الغرض إستبعاده من مظان الزلفى ، واتهامه بالتقصير فى جانب الله ، مما يقتضى أن يكون بعيدا عن رحمته .

قرينة الاستعارة التبعية

قرينة الاستعارة فى الفعل وسائر المشتقات ترجع فى الغالب الى :

١ — الفاعل : بأن يكون إسناد الفعل إليه غير صحيح ، فيدل ذلك على أن المراد بالفعل معنى يناسب الفاعل كما فى قولك : « نطقت الحال بكذا » ، و « أخبرتنى أسارير وجهه » ، « كلمتنى عيناه بما يحوى قلبه » فالنطق بمعناه الأصلى لا يتأتى صدوره من الحال وكذلك الاخبار لا يتأتى من الأسارير ، والكلام لا يكون من العينين ، إذ كل هذه الأمور من شئون الإنسان فدل ذلك على أن المراد : « بالنطق ، والاخبار والكلام » ما يصح نسبته الى الحال والأسارير والعينين ، وهو الدلالة الواضحة فالقرينة للاستعارة حينئذ هى ، الحال ، والأسارير والعينين ، وكل منهم يقع فاعلا .

ومثل ماتقدم قوله تعالى : (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) فالطغيان بمعناه الحقيقى يستحيل صدوره من الماء إذ الطغيان من أعمال الانسان ، فدل ذلك على أن المراد بالطغيان ، ما يصلح إسناده إلى الماء ، وهو الكثرة التى جاوزت الحد فالقرينة حينئذ هى الماء وهو فاعل .

٢ — نائب الفاعل : بأن يكون إسناد الفعل إليه غير صحيح فيدل ذلك على أن المراد بالفعل معنى يناسب نائب الفاعل كما فى قوله تعالى : (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)(١) فالضرب بمعنى نصب الشىء من شأن الخيام ، وبمعنى الصك بالطين من شأن الجدران ، لا من شأن الذلة والمسكنة وهما أمران معنويان ، فدل ذلك على أن المراد بالضرب : معنى يناسبهما ، وهو الحكم ، ويكون المعنى حينئذ : حكم عليهم بالذلة والمسكنة شبه الحكم على الشىء بنصب الخيام ، أو ضرب الطين بالجدار بجامع الاشتمال والإحاطة فى الأول

---

(١) سورة البقرة آية ٦١

أو بجامع اللزوم فى الثانى ، ثم استعير ضرب الخيام ، أو ضرب الطين للحكم ، واشتق منه « ضرب » بمعنى حكم على سبيل الاستعارة التبعية ، فواضح أن قرينة الاستعارة هى « الذلة والمسكنة » وكلاهما نائب فاعل .

٣ — المفعول : بأن يكون تسلط الفعل أو ما يشبهه على المفعول غير صحيح ، فيدل ذلك على أن المراد به معنى يناسب المفعول ، ومن ذلك قول ابن المعتز :

جمع الحق لنا فى إمام   قتل البخل وأحيا السماحا

فقتل وأحيا إنما صارا مستعارين بأن عديا إلى البخل والسماح ولو قال الشاعر : قتل الاعداء وأحيا لم يكن « قتل » استعارة بوجه ، ولم يكن « أحياء » استعارة على هذه الوجه فوقوع القتل والإحياء على البخل والسماح ، دل على أن المراد « بالقتل » : معنى يناسب البخل ، وهو الازالة ، وأن المراد (بالإحياء) : معنى يناسب الجود ، وهو الإكثار ، وكأنه قال : أزال البخل ، وأكثر السماح وإجراء الاستعارة أن يقال : شبه أولا إزالة البخل بالقتل بجامع ما يترتب على كل من الفناء ، ثم استعير القتل للازالة ، واشتق منه « قتل » بمعنى أزال على سبيل الاستعارة التبعية - وشبه ثانيا إذاعة الشىء بإحيائه بجامع شيوع المنفعة فى كل ثم استعير الإحياء للاذاعة ، واشتق من الإحياء بمعنى الإذاعة والاكثار (أحيا) بمعنى أذاع وأكثر على سبيل الاستعارة التبعية .

فالقرينة إذًا هى « البخل » فى المثال الأول ، و « السماح » فى الثانى ، وكلاهما مفعول به .

وقد تكون القرينة المفعول الثانى كما فى قول كعب بن زهير :

صبحنا الخزرجية مرهفات   أبان ذوى أرومتها ذووها

« صبح » بتخفيف الباء وتشديدها بمعنى : حيا بالسلام فى الصباح ،

« والمرهفات » السيوف الصوارم و «الخزرجية» نسبة إلى قبيلة الخزرج ، وهم سكان يثرب ، و « الأرومة » بفتح الهمزة وضمها الأصل والعرق .

يقول : حيفياهم بسيوف قواطع ، كتب عليها صانعوها أسماء أصحابها ، كناية عن أنها سيوف أصيلة .

والشاهد قوله : « صبحنا الخزرجية مرهفات » فهو استعارة تبعية ، استعير فيها لفظ « صبح » لمعنى « قدم » تهكما ، والقرينة قوله : « مرهفات » الذى هو المفعول الثانى « لصبح » .

وذلك : أن معنى « صبحناهم » فى الأصل ألقينا عليهم تحية الصباح ، فلا يصح ايقاعه بالمعنى المذكور على المرهفات ، فتعين أن المراد بقوله : « صبحناهم » : معنى مناسب لهذه السيوف وهو (التقديم) أى قدمنا لهم مرهفات على معنى : حاربناهم .

وقد تكون القرينة المفعولين معا كما فى قول الحريرى :

وأقرى المسامع — اما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

(أقرى) : مضارع قرى ، والحرون من الخيل مالا ينقاد لصاحبه ، ومثله الشموس ، يقال : حرن الفرس وشمس على زنة (دخل) إذا منع ظهره .

يصف نفسه بسحر البيان ، وعذوبة المنطق ، فيقول : وأقدم إلى المسامع بيانا يكبح بسحره وعذوبته جماح النفوس الصوادف — والشاهد قوله : و (أقرى المسامع بيانا) : فان فى (أقرى) استعارة تبعية . استعير لفظ (القرى) للالقاء واشتق من (القرى) بمعنى (الالقاء) أقرى بمعنى ألقى على سبيل الاستعارة التبعية ، والقرينة تعلق القرى بكل من المسامع والبيان .

٤ — المجرور : بأن يكون تعلق الفعل بالمجرور غير مناسب ، فيدل ذلك

على أن المراد به : معنى مناسب لذلك المجرور كما فى قوله تعالى : (فبشرهم بعذاب أليم) ، فان التبشير إخبار بما يسر ، فلا يناسب تعلقه بالعذاب ، فوضح من هذا أن المراد بالتبشير ، معنى يناسب العذاب وهو الإنذار ، واجراؤها أن يقال : نزل التضاد بين التبشير والانذار منزلة التناسب بينهما ثم شبه الانذار بالتبشير بجامع أن كلا إخبار بما يسر ، ثم استعير التبشير للانذار على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية وقرينتها : مجرور الحرف .

وقد تكون القرينة غير ما ذكر كما فى قوله تعالى : (ياويلتنا من بعثنا من مرقدنا)(١) ، على أن يكون (مرقد) اسم مكان ، ليكون من قبيل الاستعارة التبعية ، لأن الكلام فى قرينتها ، والاستعارة فى الآية الكريمة تبعية بمعنى مكان الموت ، أى القبر — والقرينة : كون هذا القول من كلام الموتى يوم البعث مع قوله تعالى : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ، وإذا كان (مرقد) مصدرا ميميا كانت الاستعارة فيه أصلية .

تنبيـــه :

كل استعارة تبعية قرينتها استعارة مكنية وإذا أجريتها أى الاستعارة فى واحدة منهما امتنع اجراؤها فى الأخرى .

٥ — تقسيم الاستعارة باعتبار الملائم:

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم لأحد الطرفين وعدم ذكره إلى ثلاثة اقسام : مرشحة ، ومجردة ، ومطلقة .

أ — المرشحة : ما قرنت بما يلائم المستعار منه ، أى المشبه به — كقولك:

---

(١) سورة يس الآية ٥٢

رأيت أسدا دامى الأنياب طويل البراثن ، (فأسدا) استعارة وقوله : (دامى الأنياب) و (طويل البراثن) كل منهما من ملائمات المشبه به أى المستعار منه

ومثله قول الشاعر :

ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجر منه بشطر

فإنه استعار الرداء للسيف ، لأنه يصون عرض صاحبه ، وأثبت له الاعتجار الذى هو صفة المستعار منه .

(ب) والمجردة : ما قرنت بما يلائم المستعار له ، أى المشبه .

مثل قول أبى عبادة البحترى :

يؤدون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان باد

فقد استعير (القمر) للانسان الجميل ، ثم وصف المستعار بما يلائمه من كونه مطلا من الإيوان تجريدا للاستعارة ، وقرينتها قوله :(يؤدون التحية من بعيد) .

(ج) الاستعارة المطلقة : وهى التى لم تقترن بما يلائم المستعار منه أو تقترن بما يلائمهما كقول كثير عزة :

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدى وهو للقلب جارح

فقد استعير لفظ « سهم » للنظر بجامع قوة التأثير ، و (ريشه) ترشيح ، لأنه من ملائمات المستعار منه ، من قولهم : راش السهم إذا ألصق عليه الريش ، ليكون أحكم فى الرماية ، و (الكحل) تجريد لأنه من ملائمات المستعار له ، وبهذا الاعتبار تكون قرينة الاستعارة حالية ، فان اعتبر الكحل قرينة كانت الاستعارة مرشحة .

ومثل هذا البيت قولك : (رأيت غيثا غزيرا يعطى باليمين وباليسار ففى

هذا المثال ما يلائم الطرفين (فغزر) يلائم الغيث، و (يعطى باليمين و باليسار) يلائم الرجل الجواد ، فالاستعارة مطلقة .

وتقول : « رأيت بحرا في الكلية» أي رجلا كريما ، فالاستعارة مطلقة لعدم اقترانها بشيء يلائم أحد الطرفين وأما «في الكلية» فهو قرينة الاستعارة .

ولما كانت الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به، لا شيء سواه ، تحقيقا للمبالغة في الاستعارة ، وكان الترشيح الذي هو ذكر ملائم المشبه به إمعان في هذا التناسي ، وغلو في دعوى الاتحاد المطلوب حتى يظن السامع أن ليس هناك استعارة بل ولا تشبيه، فمن هنا كانت الاستعارة المرشحة أقوى الاستعارات .

ومن الأدباء من يمعن في إنكار الاستعارة والتشبيه ، ويوهم السامع بأن الأمر محمول على حقيقته وخال من التجوز والتمثيل ليضيفوا على نتاجهم صفة الفخامة والبلاغة تأمل قول أبي تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء

الضمير في «يصعد» يعود على الممدوح — شبه ارتقاءه في منزلته بالصعود الحسي ، ثم استعير الصعود الحسي لارتقاء المنزلة ، ثم اشتق من الصعود « يصعد » بمعنى يرتقي في منزلته ، وانما خص الجهول بالذكر، لأنه هو الذي يظن ذلك ، وأما العالم فيعلم بأن الممدوح لاحاجة له في السماء وإنما الكلام تخييل بأن الممدوح ارتفعت منزلته بين الناس لما له من صفات الكمال .

ولذلك نرى أبا تمام حينما استعار لفظ « الصعود » ، وهو العلو الحسي المكاني — لعلو المرتبة بعد تشبيهه به ، بنى كلامه على أنه صعود حسي حقيقة إمعانا في تناسي التشبيه، وفي إنكار أن هنا استعارة، فذكر ما يلائم الصعود الحسي : « من ظن الجهول : أن للصاعد حاجة ينشدها السماء في » ، ولولا أن أبا تمام قصد أن يتناسى التشبيه ، ويصر على إنكاره إصرارا ، وأنه جعل الممدوح صاعدا في السماء صعودا حسيا مشاهدا ما كان لهذا الكلام وجه .

ومن هذا الباب قول ابن الرومي يمدح آل نوبخت، وهم جماعة اشتهروا بعلم الفلك والنجوم والحكمة، وكان جدهم نوبخت منجما للمنصور العباسي:

يا آل نوبخت لاعدمتكمو ولا تبدلت بعدكم بـــدلا

أعـــلا كمو في السماء بجدكم فلستمو تجهلون ما جهـــلا

شافهتم البدر بالسؤال عن الأمر الى أن بلغتمو زحـــلا

والشاهد في قوله : « أعلاكمو » فقد استعار الشاعر « الاعلاء الحسي » للعلو في المرتبة بعد إجراء تشبيه بينهما، ثم بنى كلامه على أنه علو حسي حقيقة إمعانا في تناسي التشبيه، فذكر ما يلائم ذلك : من مشافهتهم البدر بالسؤال، وبلوغهم زحل .

وعليه قول بشار بن برد :

أتتـــني الشمس زائرة ولم تك تـــبرح الفلكا

إستعار بشار لفظ « الشمس لمحبوبته الجميلة، وتناسى التشبيه وامعانا في تناسيه بنى الكلام على أنها شمس حقيقة، فادعى أنها غادرت مكانها في السماء، وجاءته زائرة ولم يسبق لها قبل ذلك أن تركت مكانها .

ومثله قول أبي الطيب :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

استعار لفظ (الشموس) لممدوحيه، ثم تناسى التشبيه، وأمعن في تناسيه، وادعى أن الكلام جاء على حقيقته، وتعجب من إشراق هذه الشموس من ديارهم بالمغرب، ولا مشرق فيها لشمس .

وقوله أيضا :

ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

فنفيه أن يرى البدر يمشي نحو الممدوح، وأن يرى الأسد تعانق رجلا : مبني على ارادة المعنى الحقيقي لهما، إذ لم يعهد أن يسعى البدر نحو إنسان،

أو أن تعانقه الأسود — فكل ذلك مبنى على الإمعان فى تناسى التشبيه والغلو فى إنكار الاستعارة .

ومن هنا يضع البلاغيون الاستعارة المرشحة فى المكان الأول بين أختيها : المطلقة ، والمجردة .

ويلى المرشحه فى القوة الاستعارة المطلقة إذ هى — كما عرفت — ما لم يذكر فيها شيء يلائم أحد الطرفين ، فهى — وان خلت مما يقوى تناسى التشبيه ، ويدعم دعوى الاتحاد : أى من ذكر ما يلائم المشبه به — ليس فيها ماينا فيهما ، من ذكر ما يلائم المشبه ، وإذا كان هذا حالها كانت خليقة أن تحتل مكانا وسطا بين أختيها المرشحة والمجردة .

أما الاستعارة المجردة فهى فى المرتبة الأخيرة ، لاشتمالها على ما يلائم المشبه ، إذ هو يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من تناسى التشبيه ودعوى الاتحاد قضاء لحق المبالغة .

الاستعارة المكنية والاستعارة التخييلية

قال الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

فقد أثبت للمنية أظفارا ولا أظفار لها .

وقال آخر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

فقد أثبت للعناية عيونا ولا عيون لها .

وقال لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فقد جعل للقرة زماما وأثبت للشمال يدا وليس لهما ذلك .

وقال الشاعر :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالى بالشكاية أنطق

فأثبت للحال لسانا ، ولا لسان لها .

وقال الحجاج فى إحدى خطبه :

إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها .

فأثبت للرءوس الايناع أى النضج وإنمـــا الذى يوصف بالايناع هو الثمرة .

وقال أبو الطيب :

ولما قلت الإبل امتطينا إلى ابن أبى سليمان الخطوبا

فجعل الخطوب تمتطى ، وإنما الذى يمتطى هو الحيوان المعروف .

وقال الشاعر :

عضنا الدهر بنـــابه ليت ما حل بنابه

فجعل الدهر نابا ولا ناب له .

هـذا الأسلوب الذى عرضناه عليك نموذج استرعى انتباه الأدباء فأكثروا منه فى كلامهم الفنى لوفائه بحق المبالغة التى يرونها .

كما أطلق البلاغيون عليه اسم « الاستعارة المكنية » لكنهم اختلفوا فى تعريفها .

فقال الخطيب القزوينى :

الاستعارة المكنية هى : التشبيه المضمر فى النفس ، المدلول عليه بإثبات أمر يختص بالمشبه به للمشبه ، من غير أن يكون للمشبه أمر ثابت حسا ، أو عقلا ، استعير له اسم ذلك الأمر المختص ، وأطلق عليه .

فيقول فى قول الشاعر الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

شبه الشاعر فى نفسه المنية بالسبع ، ثم تناسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم أثبت لازم المشبه به ، وهو « الأظفار » للمشبه الذى هو « المنية » مبالغة — وليس للمنية شىء محقق حسا أو عقلا استعير له « لفظ » الأظفار .

وأنشبت أظفارها : مكنتها . وألفيت : وجدت . والتميمة : خرزة تعلق بأعناق الصبيان صونا لهم عن العين أو الجن فى زعمهم .

يقول الشاعر : إذا جاء أجل الإنسان عجزت الحيل ، ولا مفر من قضاء الله فلكل أجل كتاب .

وقول الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

والشاهد فى قوله : « عيونها » فإن فيه استعارة بالكناية .

ويقال فى إجرائها على مذهب الخطيب : شبهت العناية بإنسان تشبيها مضمراً فى النفس ، ثم تنوسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم أثبت لازم المشبه به ، وهو « العيون » للمشبه الذى هو « العناية » قصداً إلى المبالغة - وليس للعناية شىء محقق حسا أو عقلا استعير له لفظ العيون .

ومعنى البيت : إذا قدر لك أن تكون ملحوظا بعناية الله فلن يمسك ضر ، وكنت بمأمن من كل شر .

وفى قول لبيد العامرى :

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

و « غداة » الواو الداخلة عليها واو « رب » ، « والقرة » بكسر القاف البرد ، والشمال الريح الباردة .

يقول : إنه يدفع عن الناس ألم البرد بإطعامهم ، ونحر الجزور لهم ، يصف نفسه بالكرم وقت الجدب لقيام البرد حائلا دون السعى وراء العيش .

وبيان الاستعارة فى البيت على مذهب الخطيب يقال : شبه فى نفسه ريح الشمال فى تصريفها القرة والتحكم فى طبيعتها بالإنسان المصرف لما زمامه بيده ، ثم تناسى التشبيه - على ماسبق - ثم أثبت للشمال يدا مبالغة فى التشبيه - ومعلوم أن ليس « للشمال » أمر ثابت حسا أو عقلا استعير له لفظ « يد » .

والضمير فى « أصبحت » ، وفى « زمامها » « للقرة » على ما هو واضح وعلى ذلك يكون فى القرة ، استعارة بالكناية أيضا فقد شبه « القرة »

بالبعير بجامع الانقياد للغير ، ثم أثبت للقرة ما للبعير ، وهو « الزمام » مبالغة فى التشبيه .

وإذا تأملت وجدت الشاعر بالغ فى المعنى الذى قصد إليه ، إذ جعل للقرة زماما ليكون ذلك أتم فى اعتبارها منقادة انقياد البعير — كما جعل للشمال يدا ليكون أبلغ فى اعتبارها متصرفة تصرف من بيده زمام الأمر .

وفى قول الشاعر :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالى بالشكاية أنطق

فقد شبه الحال بإنسان تشبيها مضمرا فى النفس ثم تناسى التشبيه ، ثم أثبت للحال لسانا مبالغة فى التشبيه — ومعلوم أن ليس «للحال» أمر ثابت حسا أو عقلا استعير له لفظ « لسان » .

وفى قول الحجاج : أنى لأرى رءوسا قد أينعت . يقول : شبه الرءوس بالثمرة تشبيها مضمرا فى النفس ثم تناسى التشبيه ثم أثبت للرءوس «الإيناع» مبالغة فى التشبيه — ومعلوم أن ليس « للرءوس » أمر ثابت حسا أو عقلا استعير له لفظ (أينعت) .

وفى قول أبى الطيب :

ولما قلت الإبل امتطينا إلى ابن أبى سليمان الخطوبا

امتطينا : ركبنا ، والخطوب : الأمور الشديدة ، يقول : لما عزت الأبل عليه لفقره ، وحطته الخطوب على قصد هذا الممدوح فكانت له بمنزلة مطية يركبها فيقال فى إجرائها على مذهب الخطيب : شبهنا الخطوب بحيوان يركب تشبيها مضمرا فى النفس ، ثم تناسينا التشبيه ، ثم اثبتنا (للخطوب) الامتطاء مبالغة فى التشبيه — ومعلوم أن ليس (للخطوب) أمر ثابت حسا أو عقلا — استعير له لفظ (امتطى) .

وفى قول الشاعر :

عضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنابه

والشاهد فيه (إثبات العض للدهر) على سبيل الاستعارة المكنية .

وإجراؤها على مذهب الخطيب يقال : شبه الدهر بالحيوان المفترس تشبيها مضمرا فى النفس — ثم تناسى التشبيه ، ثم أثبت (للدهر) العض مبالغة فى التشبيه — ومعلوم أن ليس (للدهر) أمر ثابت حسا أو عقلا استعير له لفظ (عض) .

وواضح أن الاستعارة المكنية على مذهب الخطيب خرجت عن أن تكون من أفراد المجاز المفرد اللغوى ، لأن المجاز المفرد اللغوى كما علمنا هو : اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له ، فهو من عوارض الألفاظ والاستعارة المكنية على مذهب الخطيب هى : التشبيه المضمر فى النفس ، وهو فعل من أفعال المتكلم — وعلى ذلك فإطلاق لفظ المكنية — على رأى الخطيب مجرد تسمية خالية عن المناسبة — وأما اطلاق لفظ المكنية عليها فواضح أمره إذ لم يصرح فيها بالتشبيه ، وإنما كنى عنه بذكر لازم المشبه به ، وإثباته للمشبه .

قرينة المكنية على مذهب الخطيب :

وقرينة المكنية على مذهب الخطيب : هى إثبات لازم المشبه به للمشبه كإثبات (الأظفار) للمشبه فى بيت الهذلى ، وكإثبات (العيون) للعناية فى البيت الثانى ، وكإثبات (اليد) للشمال أو إثبات (الزمام) للقرة فى بيت لبيد ، فإثبات هذه الأمور — قرينة على أن فى الكلام استعارة مكنية .

الاستعارة التخييلية عند الخطيب :

الإستعارة التخييلية عند الخطيب هي : إثبات لازم المشبه به للمشبه كإثبات اليد للشمال في بيت لبيد، أما أنه استعارة فلأن اللازم المذكور، وهو الأمر المختص بالمشبه به استعير المشبه، وأثبت له — وأما أنه « تخييل » فلأن ذلك اللازم لما نقل، وأثبت للمشبه خيل للسامع أن المشبه من جنس المشبه به .

وعلى ذلك تكون قرينة المكنية استعارة تخييلية دائما على مذهب الخطيب، وأن المكنية لا تنفك عن التخييلية، لأن التخييلية قرينتها، ولا بد للاستعارة من قرينة دالة على التجوز .

وأن طرفي الاستعارة التخييلية مستعملان في معنييها الحقيقيين: « فالأظفار والمنية » مثلا كلاهما مستعمل في المعنى الموضوع له، والتجوز إنما هو في إثبات الأظفار للمنية إذ أن المنية لا أظفار لها، فهو إثبات الشيء لغير ما هو له .

وهذا اللازم المراد إثباته للمشبه — على نوعين :

١ — منه ما يكون به كمال وجه الشبه في المشبه به .

٢ — ومنه ما يكون به قوامه ووجوده .

فالأول : كما في قول أبي ذؤيب الهذلي السابق، فإن وجه الشبه فيه بين المنية والسبع هو « الاغتيال »، وهو — في السبع يحصل بغير الأظفار كالأنياب، لكنه بالأظفار يكمل ويتم.

والثاني : كما في قول الشاعر :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا   فلسان حالي بالشكاية أنطق

والمعنى : إن يك لسانى ناطقا بالشكر لك فلسان حالى أنطق بالشكاية منك ، لأن ضرك أكثر من نفعك — والشاهد : أنه شبه فى نفسه الحال بإنسان متكلم فى الدلالة على المراد ثم أثبت للحال لسانا . وهو قوام الدلالة الواضحة ، فهى لا تتحقق بدونه .

ومنه قول زهير بن أبى سلمى:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ‏ ‏ ‏ ‏ وعرى أفراس الصبا ورواحله

« صحا » من الصحو بمعنى الإفاقة من السكر ونحوه — شبه السلو من العشق بالصحو بالمعنى المذكور بجامع انتفاء ما يحول دون الرشد، ثم استعير لفظ المشبه به ، للمشبه ، ثم اشتق منه «صحا» بمعنى سلا على سبيل الاستعارة التبعية ، « وأقصر باطله » يقال : أقصر عن الشىء إذا أقلع عنه ، وتركه مع القدرة عليه ، فإذا كان الترك عن عجز ، قيل : « قصر عنه » بغير ألف ، و « باطل القلب » ميله إلى الهوى وإنما صح إسناد الإقصار إلى الباطل ، وهو ليس بذى قدرة واختيار أما لأن فى العبارة قلبا ، وأن الأصل : أقصر القلب عن باطله فقلب وأسند الفعل إلى الباطل مجازا عقليا . ، وأما لأن المراد بالإقصار : مطلق الامتناع فيكون معنى أقصر باطل القلب : امتنع عنه وانتفى وزال . « والرواحل » جمع راحلة ، وهى البعير القوى على الأسفار ، ومعنى تعرية الأفراس والرواحل : تجريدها من سروجها ورحالها للكف عن استخدامها كناية عن انصرافه عما كان فيه من لهو وعبث .

يقول زهير : إنه عاد إلى رشده ، وترك حب سلمى ، وجنب نفسه ما كان فيه من غواية وجهل ، وسلك طريق الهدى والرشاد .

والشاهد فيه الشطر الثانى من البيت حيث أضمر فى نفسه تشبيه «الصبا» — بمعنى الميل إلى الصبوة والجهل — باحدى جهات المسير إلى غاية كتحصيل علم ، أو تجارة ، أو غيرها بجامع مايتطلبه كل من تجشم المشاق ، واجتياز أوعار

الطرق دون مبالاة بما يستهدف من خطر ، ولا اكتراث لما يعرض من شدة - ثم تناسى التشبيه ، وهذا هو ما يسمى بالاستعارة المكنية على رأى الخطيب - ثم أثبت لازم المشبه به وهو الأفراس والرواحل للمشبه الذى هو « الصبا » مبالغة فى التشبيه ، وهذا الاثبات هو الاستعارة التخييلية - ولا شك أن تجشم المشاق ، واجتياز المسالك الوعرة إنما يكون بالأفراس والرواحل .

ويحتمل أن الشاعر أراد بالأفراس والرواحل : ما تركز فى النفوس من شهوات جامحة ، مع ما أودع فى ذويها من صحة ، وفراغ ، وما إليها - أو أراد بها : الأسباب التى تتهيأ عادة إبان الصبا كالمال والأعوان ، فتكون الإستعارة حينئذ تحقيقية فى الأفراس والرواحل لتحقق معناهما عقلا إن أريد بها شهوات النفوس وما إليها - أو حسا إن أريد بها الأسباب ، ووجه الشبه بين الأفراس والرواحل وبين ما ذكر فى الوجهين أن كلا آلة لتحصيل ما لا يخلو من مشقة وجهد .

الاستعارة المكنية عند الجمهور :

يعرفها الجمهور بقولهم : هى لفظ المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، والمحذوف المدلول عليه بشىء من خواصه ولوازمه كما فى قول الهذلى :

واذ المنية أنشبت أظفارها

فيقال فى إجرائها على مذهب الجمهور شبهنا المنية بالسبع بجامع الاغتيال فى كل ثم تناسينا التشبيه ثم ادعينا دخول المشبه فى جنس المشبه به ، ثم قدر فى النفس حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو : « الأظفار » على سبيل الاستعارة المكنية ، ثم أثبت « الأظفار » للمنية على سبيل الاستعارة التخييلية .

وكذلك تقول في قول الشاعر :

وإذا العناية لا حظتك عيونها

استعير في النفس لفظ « الإنسان » للعناية بعد تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به ثم قدر في النفس أيضا حذف المشبه به ثم رمز إليه بذكر بعض لوازمه ، وهو « العيون » على سبيل الاستعارة المكنية ، ثم أثبتت العيون للعناية . على سبيل الاستعارة التخييلية .

وفي قول لبيد السابق :

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

استعير في النفس لفظ « الإنسان » للشمال بعد تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به ، ثم قدر في النفس أيضا حذف المشبه به ، ثم رمز إليه بذكر بعض لوازمه وهو « اليد » على سبيل الاستعارة المكنية ، ثم أثبت « اليد » للشمال على سبيل الاستعارة التخييلية وواضح أن سبب تسميتها « بالمكنية » على مذهب الجمهور لعدم التصريح فيها بذكر المشبه به ، والكناية عنه بذكر بعض لوازمه .

فالخطيب يخالف الجمهور في « المكنية » فهي عنده : التشبيه المضمر في النفس ، فهي فعل من أفعال النفس أما الجمهور فيقولون . إنها لفظ المشبه به المستعار للمشبه والمحذوف المدلول عليه بذكر بعض لوازمه ، فهي عندهم من قبيل الألفاظ ، أي من أفراد المجاز اللغوي .

وقرينة المكنية عند الجمهور : إثبات لازم المشبه به للمشبه كاثبات « العيون » للعناية ، وكإثبات « الأظفار » للمنية وواضح أن الجمهور يتفق مع الخطيب في قرينة الاستعارة بالكناية .

الاستعارة بالكناية عند السكاكي:

الاستعارة المكنية عند السكاكي هي: لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء أن المشبه هو عين المشبه به أي من جنسه.

واجراء الاستعارة على مذهب السكاكي أن يقال: شبهنا المنية التي هي الموت المجرد عن ادعاء السبعية — بالسبع الحقيقي، ثم تناسينا التشبيه، وادعينا أن المنية فرد من أفراد السبع وأن للسبع فردين: فردا متعارفا وهو الحيوان المفترس، وفردا غير متعارف، وهو الموت الذي ادعيت له السبعية واستعير اسم المشبه، وهو المنية بمعنى ذلك الفرد غير المتعارف أعني الموت الذي ادعيت له السبعية، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه، وهو المنية وأريد به المشبه به، وهو السبع.

فالاستعارة المكنية عند السكاكي من قبيل المجاز اللغوي كما هي عند الجمهور.

الاستعارة التخييلية عند السكاكي:

هي: مالا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل معناه صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقيق الحسي أو العقلي كلفظ الأظفار في مثل قول الشاعر:

واذا المنية أنشبت أظفارها

فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال، أخذ الوهم في تصويرها بصورته، واختراع لوازمه لها خصوصا مابه الاغتيال. فاخترع لها صورة الأظفار ثم أطلق عليها لفظ الأظفار.

وقرينتها أضافتها إلى المكنية: فالمشبه عند السكاكي الصورة الخيالية، والمشبه به الصورة الحقيقية والمستعار اللفظ الموضوع للصورة الحقيقية.

ويرى السكاكى ان التخييلية قد توجد من غير المكنية كقولهم : أظفار المنية التى كالسبع نشبت بفلان ، فى أظفار (استعارة تخييلية وجدت مع تشبيه صريح وعلى ذلك تكون قرينة المكنية عنده إما استعارة تخييلية كما فى قول الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها

وتارة تكون القرينة استعارة تحقيقية إذا كان اللفظ مستعاراً لأمر محقق عقلا أو حسا ، فالأول كاستعارة « الأفراس ، والرواحل » فى بيت زهير السابق — لما تركز فى النفوس من شهوات جامحة — والثانى كاستعارة هاتين للاسباب التى تتهيأ مدة أيام الصبا كالمال والأعوان ، فالمستعار له على المعنيين محقق ، لا متخيل ، وحينئذ لا تلازم - على مذهبه - بين المكنية والتخييلية - بخلاف الحال عند الخطيب والجمهور .

المجاز المركب اللغوى

عرّف البلاغيون المجاز المركب بقولهم : هو اللفظ المركب المستعمل فى غير المعنى الموضوع له لعلاقة بين المعنى الحقيقى والمجازى مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى . وهو — باعتبار هذه العلاقة نوعان :

١ — مجاز مركب علاقته المشابهة ، ويسمى استعارة تمثيلية .

٢ — مجاز مركب علاقته غير المشابهة ويسمى : مجازا مركبا مرسلا .

الاستعارة التمثيلية :

هى اللفظ المركب المستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة المشابهة كما تقدم فى التشبيهات المركبة أى فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة إذا استعير فيها لفظ المشبه به كقوله تعالى : (فنبــذوه وراء ظهورهم (١)) وحقيقة الـكلام : فتركوا الميثاق ، وأهملوه ، ولم يعتدوا به ، وإجراء الاستعارة فيه تقول : شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق ، فأهملوه ، ولم يأخذوا به : بهيئة من بيده شىء تافه لاقيمة له فى اعتباره فطرحه وراء ظهره . والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شىء يهمل احتقارا لشأنه ثم استعيرَ المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئا وراء الظهور حقيقة ، لحالهم على غير ما يفيده التركيب وضعا .

ومن الاستعارة التمثيلية ما كتبه الوليد بن يزيد حين بويع بالخلافة إلى بن مروان بن محمد ، وقد بلغه توقفه عن البيعة .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧

أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام » .

وحقيقة الكلام : إني أراك متحيراً في أمرك ، مترددا فيه — وإجراء الاستعارة فيه أن يقال : شبهت هيئة تردده في قبول البيعة بين الاقدام والاحجام بهيئة رجل قام ليذهب إلى جهة ، فتارة يعقد النية على الذهاب ، فيقدم رجلا ، وتارة يعدل ، فيؤخرها ثانيا — والجامع الهيئة الحاصلة من إقدام تارة ، وإحجام أخرى ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية — والقرينة حالية ، لأن المتردد المذكور لايقدم رجلا ولا يؤخرها لحاله على غير مايدل عليه التركيب وضعا .

والاستعارة التمثيلية كثيرة الورود في الأمثال السائرة نحو :

(أحشفا وسوء كيلة) يضرب لمن يظلم من وجهين — وأصله أن رجلا اشترى تمرا من آخر ، فإذا هو ردىء ، وناقص الكيل فقال المشترى ذلك وإجراء الاستعارة فيه أن يقال : شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمرا رديئا وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

ومن الاستعارة التمثيلية قول الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام

وإجراء الاستعارة في هذا البيت أن يقال شبهت هيئة الرجل الذى لايقول إلا الحق ولايخبر إلا بالصدق بهيئة المرأة المسماة « حذام » بجامع الصدق في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

وقول الآخر :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وإجراؤها أن يقال : شبهت حال المصلح يبدأ بالإصلاح ثم يأتى غيره فيبطل عمله ، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه ، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية . لوجود ما يفسد على المصلح إصلاحه ، ثم حذف المشبه ، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ومتى اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها صارت مثــلا ، والأمثال لا تغير ، فلا يلتفت فيها إلى مضاربها ، إفرادا وتثنية وجمعا، وتذكيرا وتأنيثا ، بل يشبه المثل بمورده ، فينقل لفظه كما هو بلا تصرف ، وإن لم يطابق المضروب له فى التذكير والتأنيث والتثنية والجمع .

المجاز المركب المرسل :

يعرّفه البلاغيون بقولهم : هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعى .

ويأتى فى الجمل الخبرية المستعملة فى الإنشاء لأغراض منها :

١ — التحسر كما فى قوله تعالى حكاية عن أم مريم : (رب إنى وضعتها أنثى (١)) فهذه الجملة أصل وضعها للإخبار والإفادة إلا أنها فى هذا المقام مستعملة فى غير هذا المعنى لأن أم مريم تعلم حق العلم أن الله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية ، فهى لا تقصد الخبر والإفادة وإنما أرادت بهذا الخبر أن تبدى تحسرها على فوات مأمول لها هو ذلك المولود الذكر — والعلاقة اللزوم إذ يلزم من إخبار أم مريم بأنها وضعت أنثى على غير ما كانت تأمل إظهار أنها حزينة متحسرة والقرينة مقام الخطاب .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٦

وعليه قوله تعالى على لسان زكريا : (رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا (١)) فهذه الآية وإن كان فى أصل وضعها للأخبار والإفادة إلا أنها فى هذا المقام مستعملة فى غير هذا المعنى إذ أن زكريا عليه السلام يعلم يقينا أن الله سبحانه وتعالى لاتخفى عليه خافية وإنما أراد أن يظهر ضعفه ، وأنه بلغ من الوهن والكبر غاية لا أمل له بعدها فى الحياة — والعلاقة اللزوم إذ يلزم من إخبار زكريا بأنه قد وهن عظمه واشتعل رأسه شيبا إظهار أنه ضعف وأصبح بحالة تثير الشفقة وتدعو إلى الرحمة — والقرينة — مقام الخطاب .

ومن استعمال الخبر فى معنى التحسر قول الشاعر :

ذهب الصبا وتولت الأيام   فعلى الصبا وعلى الزمان السلام

فالخبر فى البيت مستعمل فى معنى التحسر على فوات الشباب وذهاب أيامه الناضرات والعلاقة اللزوم إذ يلزم من الإخبار بذهاب الصبا وأيامه المثمرة — التحسر والأسى على فواته . والقرينة قوله :

فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

٢ — إظهار السرور نحو : نجحت فى الامتحان لمن يعلم ذلك .

٣ — الدعاء نحو : غفر الله لكم ذنوبكم ونجح الله مقاصدكم .

ويأتى المجاز المرسل المركب فى الجمل الإنشائية أيضا : كالأمر والنهى والاستفهام ، التى خرجت عن معانيها الأصلية ، واستعملت فى معان أخر كقوله تعالى : (مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين(٢)) فالاستفهام قد خرج إلى التعجب فهو مجاز مرسل علاقته اللازمية والملزومية من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ، لأن سؤال العاقل فى الآية عن حال نفسه مثلا يستلزم جهله به وجهله به يستلزم التعجب منه .

---

(١) سورة مريم آية ٤   (٢) سورة النمل آية ٢٠

حسن الاستعارة

تحسن الاستعارة بأنواعها إذا صادفت موقعها وأحدثت الأثر الفنى الذى يثير القارىء أو الملتقى ويجعله يحس بقيمة العمل الفنى لتربية الملكة الفنية التى تبتكر وتنتج المعانى العالية بأسلوب رائق جميل .

فمثلا قوله تعالى :) والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس(١) .

فى هذه الآية : استعارة مكنية فى الصبح الذى شبهناه بإنسان ، وحذفنا المشبه به ، ورمزنا إليه بشىء من لوازمه وهو . « تنفس » وإذا تأملت قليلا ستجد هذه الاستعارة تنقل لك صورة الحياة التى منحها الله الطبيعة ، والأنس والبهجة والفرح بهذه الحياة التى تتنفس فى كل حى ، من الزهرة المتفتحة الندى ، الى الطير المتيقظ من الكرى ، إلى الانسان المتطلع إلى الضياء .

وهذه الحركة الوئيدة المستشرقة للضوء والحياة تصورها لفظة « تنفس » وجرسها الخاص ، وإيقاع التعبير كله :

وكأنَّ كل كائن فى هذا الوجود يفتح رئتيه لنسيم الصبح البليل ، وينفض الكرى عن عينيه فى استبشار ودبيع (٢) . فلا شك أن هذه الاستعارة باشعاعاتها المختلفة تجعل القارىء أو السامع يملأ رئتيه بنسيم الحياة ويقبل على الحياة الفاضلة المملوءة بالأمل والرضا من الله ومن كل كائن يعيش فى الحياة وتلك ثمرة البيان الذى امتن الله به على الإنسان ، قال تعالى: (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) هذا ويقول البلاغيون: إن

---

(١) سورة التكوير الآية : ١٧ ، ١٨ .

(٢) مستفاد من كتب وشخصيات المرحوم سيد قطب ص٧ومابعدها طبع دار الشروق .

الاستعارة بأنواعها لا تقع موقعها من الحسن إلا إذا توفرت فيها الأمور الآتية :

١ — ألا يكون وجه الشبه خفيا جدا ، بحيث لا يدرك بغير تأمل ونظر ، فلا يحسن استعارة لفظ « أسد » للرجل الأبخر ، وهو ذو الفم المنتن لخفاء وجه الشبه ، إذ أن انتقال الذهن من معنى « الأسد » إلى الرجل ، إنما يكون باعتبار المعنى المشهور فى الأسد ، وهو « الجرأة » ، لا « البخر » فاستعارة لفظ « الأسد » للأبخر حينئذ يعد إلغازا وتعمية فى فهم المراد — ذلك أن من شروط حسن الاستعارة — كما علمت — عدم ، إشمامها رائحة التشبيه ، وذلك مما يبعدها عن الحقيقة ، فإذا انضم إلى ذلك خفاء وجه الشبه ازدادت بعدا ، فخفيت على الفهم ، وصارت إلغازا

٢ — أن يزداد بعدها عن الحقيقة بالترشيح ، ولذلك كانت الاستعارة المرشحة أكثر قبولا . وألذ طعما فى ذوق البلغاء من أختيها : المجردة والمطلقة .

٣ — ألا يشم فيها القارىء أو السامع رائحة التشبيه لفظا(١) لا معنى : بألا يذكر فى الكلام ما يدل على التشبيه كما فى قولك . « زارنى قمر فى منزلى » فليس فى العبارة لفظ دال على التشبيه .

فإن ذكر فى الكلام ما يدل على التشبيه كانت الاستعارة قليلة الحسن كما فى قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

فقد استعار لفظ « القمر » للوجه المشرق الصبوح .

وإنما كانت هذه الاستعارة قليلة الحسن بسبب ذكر ما يدل على المشبه . وهو الضمير فى « غلالته » ، أو فى « أزراره » وهذا يتنافى مع ما ترمى

---

(١) وانما قلنا لفظا لا معنى : لأن الاستعارة فيها تشبيه معنى .

إليه الاستعارة من تناسي التشبيه ، ودعوى اتحاد الطرفين .

وقول البلاغيين إن استعارة هذا البيت قليلة الحسن ، لا يمنع هذا من روعتها وفخامتها ثم إن المراد بإشمام رائحة التشبيه المشروط نفيه في حسن الاستعارة . ما لا يخرج به الكلام عن نطاق الاستعارة كما في البيت المذكور ونحوه مما يذكر فيه المشبه على وجه لا ينبيء عن التشبيه .

بخلاف ما لو ذكر فيه المشبه على وجه ينبيء عن التشبيه نحو .

« محمد أسد » ونحوه من كل ما لا يصح الحمل فيه إلا على تقدير أداة التشبيه أو كان الأسلوب مصرحا فيه بوجه الشبه ، نحو « رأيت أسدا » في الجرأة أو بالأداة نحو ، « رأيت رجلا مثل الشمس » فإن مثل هذا الاشمام في الأمثلة المذكورة مبطل للاستعارة فنفيه شرط لصحتها ، لا لحسنها .

٤ — وقالوا أيضا ، إن من شروط حسن الاستعارة أن يراعي الأديب أسباب حسن التشبيه ، لأنها مبنية عليه . وهي تابعة له في الحسن والقبح ، فإن حسن حسنت الاستعارة وإن قبح قبحت .

فمن جهات حسن التشبيه ، أن يكون وافيـــا بإفادة الغرض الذي سيق لأجله .

فإن كان الغرض منه مثلا ، تزيين المشبه كوجه أسود ، فشبه بمقلة الظبي ذات السواد الجميل ، ثم استعير له لفظها ، فقيل ، « رأيت مقلة ظبي » ، تريد وجها أسود حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض لأن الظبي محبوب والمراد تزيين المشبه .

أما إذا قيل ، رأيت فحما « وأريد الوجه الأسود لم تحسن الاستعارة لعدم حسن التشبيه لأن تشبيه الوجه الأسود بالفحم لا يفي بالغرض وهو إظهار المشبه في صورة حسنة . . . . وهكذا .

الفصل الثالث

الكناية

تعريفها : هى - فى اللغة — أن تتكلم بالشىء وتريد غيره ، وهى مصدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به ، وبابه رمى يرمى ، وورد كنوت بكذا عن كذا ، من باب دعا يدعو ، وقد أنشد الجوهرى :

وإنى لأ كنو اعن قدور بغيرها وأعرب أحيانا بها وأصارح

و(قدور) بفتح القاف وضم الدال اسم امرأة .

وكنيت أفصح من « كنوت » بدليل قولهم فى المصدر : « كناية » ولم يسمع « كناوة » .

والكناية فى اصطلاح البلاغيين : لفظ أطلق وأريد منه لازم معناه الحقيقى مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلى مع المعنى المراد .

وخرج بقيد « مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلى مع المعنى المراد » — المجاز فلابد فيه من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى مع المعنى المجازى كما تقول : « رأيت أسداً يخطب » فلا يجوز هنا أن يراد منه « الحيوان المفترس » لأن فيه قرينة تمنع من ذلك هى « يخطب » إذ أن الخطابة من شأن الإنسان ، لا من شأن الأسود وهذا هو أساس الفرق بين المجاز والكناية .

أقسام الكناية :

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام :

١ — كناية يطلب بها صفة ، والمراد بالصفة هنا : المعنى القائم بالغير كطول القامة ، وكالجود لا خصوص النعت النحوى .

٢ — كناية يطلب بها موصوف .

٣ — كناية يطلب بها نسبة .

فالأولى : وهى المطلوب بها صفة ضابطها : أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه ، ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وإثباتها ، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها كما فى قولهم : « محمد طويل النجاد » كناية عن طول قامته قال الشاعر :

طويل نجـــاد السيف شهم كأنما
يصول — إذا استخدمته — بقبيل

و « النجاد » ما وقع على العاتق من حمائل السيف ، و « القبيل » الجماعة أى أن الممدوح تناهى فى الشجاعة فالمعنى الحقيقى لقوله : « طويل نجاد السيف » أن نجاده طويلة وليس هذا هو المراد ، وإنما المراد : لازم هذا المعنى ، وهو أن الممدوح طويل القامة ، فقد صرح فيه بالموصوف وهو « محمد » فى المثال و « هو » أى الممدوح فى البيت ، وصرح أيضاً بالنسبة إليه ، وهى : اسناد طول النجاد إلى محمد فى المثال وإلى الممدوح فى البيت .

ولم يصرح بالصفة المطلوبة نسبتها ، وهى طول القامة ولكن ذكر مكانها صفة أخرى تستلزمها ، هى طول النجاد .

وقال المتنبي في وقيعة سيف الدولة ببني كلاب :

فساهم وبسطهم حرير   وصبحهم وبسطهم تراب

كنى بكون بسطهم حريرا عن سيادتهم وعزتهم ، ويكون بسطهم ترابا عن حاجتهم وذلهم فالكناية في التركيبين عن صفة .

وقولهم « فلان عريض القفا » ، أو « كبير الرأس » ، فإن عرض القفا بإفراط ، أو كبر الرأس كذلك يستدل به في العادة على البلادة ، والبلاهة. فهما كناية عن صفة .

وقال الشاعر :

ومايك فيّ من عيب فانى   جبان الكلب مهزول الفصيل

فقد كنى عن كرمه وسماحته ، وكثرة قراه الأضياف بجبن الكلب وهزال الفصيل ، إذ ينتقل الذهن من جبن الكلب عن النباح في وجه من يدنو من دار صاحبه إلى استمرار ما يوجب نباحه ، وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ، ثم ينتقل من هذا إلى كون صاحبه مقصد الدانى والقاصى ، فينتقل من هذا إلى أنه يقرى الأضياف ومنه إلى وصف الجود فهى كناية عن صفة .

ومن لطيف الكناية المطلوب بها صفة قوله تعالى : (ولما سقط في أيديهم[1]) . يريد : ولما اشتد ندمهم وتحسرهم على ما كان منهم من عبادة العجل ، فقد كنى بالسقوط في اليد ، بمعنى العض عليها : عن معنى الحسرة والندم ، لأن من شأن من يشتد ندمه وتحسره أن يعض على يده غما وحزناً ،

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٩

وإنما عبر بالسقوط فى اليد ، لأن النادم المتحسر كما قلنا يهوى ، بفمه على سبابته يعضها ، فتصير يده مسقوطا عليها .

والقسم الثانى : وهو الكناية المطلوب بها موصوف — ضابطها : أن يصرح بالصفة ، وبالنسبة ، ولا يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفة إليه ، ولكن يذكر مكانه صفة أو أوصافا تختص به وتدل عليه وذلك كقول المتنبى :

ومن فى كفه منهم قناة كمن فى كفه منهم خضاب

كنى بمن يحمل قناة : عن الرجل ، وبمن فى كفه خضاب : عن المرأة فكلتا الكنايتين كناية عن موصوف .

ومثله قوله البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها فتكه بالذئب .

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلهـــا
بحيث يكون اللب والرعب والحقد

يقول : أتبعت طعنة بطعنة ، أخفيت بها حديدة السيف فى القلب الذى هو موطن هذه الأشياء الثلاثة — وفيه كنايات ثلاث ، كل منها يراد به : القلب إذ هو على ما ذكرنا موطن لكل واحد منها ، وذلك وصف خاص به ، فصحت الكناية به عنه .

ومن هذا القسم قوله تعالى : « وحملناه على ذات ألواح[1] » فقوله : « ذات ألواح ودسر كناية يراد بها موصوف هو « السفينة » ، لأن مجموع الأمرين المذكورين ، وهما الألواح والدسر مشدودا أحدهما إلى الآخر — وصف خاص بالسفينة .

---

(١) سورة القمر آية ١٣

والقسم الثالث من أقسام الكناية هو : الكناية المطلوب بها نسبة ، وضابطها أن يصرح بالموصوف والصفة . ولا يصرح بالنسبة بينهما ، ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها .

فمثالها قولهم : « المجد بين برديه، والكرم تحت ردائه » كناية عن إثبات المجد والكرم له، فقد صرح في هاتين بالموصوف ، وهو «فلان» ، وصرح بالصفة ، وهي المجد أو الكرم ولكن لم يصرح بنسبة المجد ، أو الكرم إليه ، وإنما ذكر مكانها نسبة أخرى هي نسبه المجد إلى برديه أو نسبة الكرم إلى ردائه ، وكلاهما يستلزم نسبة المجد ، أو الكرم للممدوح :من حيث وجود المجد بين برديه المحيطين به ، أو وجود الكرم تحت ردائه الخاص ، والقرينة استحالة قيام المجد أو الكرم بنفسه ، ووجوب قيامهما بمحل صالح لهما .

ومثله قول أبي نواس :

فما جازه جود ولا حل دونه
ولكن يسير الجود حيث يسير

ففي البيت كناية عن نسبة هي : ثبوت الجود للممدوح ـ ذلك أن حلول الجود بكل مكان يحل به الممدوح يستلزم ثبوت الجود له لأن الجود وصف لا يصلح قيامه بالأماكن ، فلزم ثبوته له ، وقيامه به .

ومثله قول الشاعر:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها   إذا ما بيوت بالملامة حلت

فقد كنى عن نفي اللوم عنها بنفيه عن بيتها ، فقد صرح بالموصوف ، وهو الضمير في بيتها العائد على المرأة ، وصرح بالصفة ، وهي اللوم ، ولم يصرح بنسبة نفي اللوم عنها ، ولكن ذكر مكانها نسبة نفي اللوم عن بيت يحتويها ، وذلك يستلزم نفي اللوم عنها إذ لا معنى لنفي اللوم عن المباني .

وعبر بلفظ « يبيت» دون « يظل » لمزيد اختصاص الليل بأفعال الفحش ، وارتكاب المآثم .

ومن الكناية المطلوب بها نسبة قول الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فقد كنى عن إثبات هذه الثلاثة للممدوح بإثباتها لقبة ضربت عليه ، لأنه إذا أثبت الشيء في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له وذلك لاستحالة قيام الوصف بنفسه ووجوب قيامه بمحل صالح له .

خاتمة

أطبق علماء البلاغة على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الكناية أبلغ من التصريح ، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، ومن المجاز المرسل ، والكناية ومعنى الأبلغية هنا : الأفضلية في الحسن والقبول وهذا الحكم يأتي بعد أن يصادف كل أمر من هذه الأمور موقعه الذي يتطلبه ، وعلى ذلك إذا طلب المقام الإفصاح كان من غير شك أفضل من الكناية .

وبيان وجه الأبلغية في المجاز والكناية هو أن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم ، فهو كدعوى الشيء ببينة ذلك : أنك حين تقول متجوزا : رأيت أسدا في الكلية ، إنما تريد أن تقول : رأيت رجلا مقداما في الكلية ، وهذه دعوى قام عليها دليلها ، وإثبات معنى الأسد له إذ يلزم كونه أسداً أن يكون مقداماً جريئاً للزوم الإقدام والجرأة للأسد ، وكأنك قلت : هو مقدام لأنه أسد وأنك حين تقول مكنيا : « محمد طويل النجاد » إنما تريد أن تقول : « محمد طويل القامة » وهي أيضا دعوى قام عليها دليلها ، وهو اتصافه بطول النجاد إذ يلزم من كونه طويل النجاد : أن يكون طويل القامة — وكأنك قلت : محمد طويل القامة لأنه طويل النجاد .

أما الحقيقة في نحو : « رأيت رجلا مقداما في الكلية » والتصريح في نحو : « محمد طويل القامة » فقضيتان لم يقم عليهما دليل ، وما كان مؤيدا بدليل أبلغ وآكد مما لم يدعم بدليل فثبت أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ووجه أبلغية الاستعارة على التشبيه هو أن الاستعارة نوع من المجاز مبني على دعوى اتحاد المشبه والمشبه به ، والتشبيه نوع من الحقيقة بناء على القول الراجح ، وقد ثبت أن المجاز أبلغ من الحقيقة على ما وضحنا .

ووجه أبلغية الاستعارة على المجاز المرسل :

مافيها من دعوى الاتحاد لفظا ومعنى .

إما الألفظا فلإطلاق لفظ المشبه به ، وإما معنى فلإدخال المشبه فى جنس المشبه به واعتباره فردا من أفراده — بخلاف المجاز المرسل نحو : « رعينا الغيث » فإن فيه دعوى الاتحاد فى اللفظ فقط من حيث إطلاق اللفظ على المعنى الثانى ، أما دعوى الاتحاد فى المعنى فغير موجوه إذ ليس بين المعنيين « كالنبات والغيث » فى المثال المذكور تشابه حتى يدعى اتحادهما .

ووجه أبلغية الاستعارة على الكناية هو أن فى الاستعارة جمعا بين كناية واستعارة : من حيث أن فيها انتقالا من الملزوم « كالأسد » إلى اللازم ، وهو الشجاعة ، كما ينتقل فى الكناية من « طول النجاد » مثلا إلى «طول القامة» ومن حيث أن فيها استعمال اللفظ فى غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة .

وأعلم أن الشيخ عبد القاهر الجرجانى قال : ليس معنى الأبلغية فى هذه الثلاثة : أنها تفيد زيادة فى أصل المعنى ، لا يفيدها غيرها ، إنما تفيد فقط تأكيداً لإثبات المعنى ، لا يوجد فى سواها .

فليست المزية فى قولهم : «جم الرماد» أنه دل على قرى أكثر بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجاباً هو أشد، وأدعيته دعوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق .

وكذلك ليست المزية التى تراها لقولك : « رأيت أسدا » على قولك : « رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد فى شجاعته وجرأته » أنك قد أفدت بالأول زيادة فى مساواته الأسد . بل إنك أفدت تأكيدا وتشديدا وقوة فى إثباتك له هذه المساواة ، وفى تقريرك لها . فليس تأثير الاستعارة إذن

فى ذات المعنى وحقيقته بل فى إيجابه والحكم به(١) كما أوضحنا ذلك فى أول البحث .

ويقول البلاغيون: إن الاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارة، لأنها إنما تكون فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة ، فهى كثيرة الاعتبارات والملاحظات ، لا يوفق فيها إلا من أوتى حسن روية وبعد نظر — ويليها فى الأبلغية الاستعارة المكنية لاشتمالها على المجاز العقلى فى قرينتها .

أما التصريحية ففى المرتبة الثالثة .

تم بحمد الله

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٦٠ ، ٦١ تصحيح وطبع الشيخ رشيد رضا الطبعة السادسة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م طبع صبيح .

فهرس موضوعات الجزء الثالث

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣ — ٤
الباب الثانى « علم البيان »	٥ — إلى آخر الجزء الثالث
تمهيد : فى معنى علم البيان	٧ — ٢٩
التصوير البيانى	٧ — ١٥
البيان عند اللغويين	١٥ — ١٧
البيان فى الاصطلاح البيانى بين أيدى البلاغيين	١٧ — ٢٦
تعريف « علم البيان » عند الخطيب القزوينى	٢٦ — ٢٩
شرح التعريف	٢٧ — ٢٩
أبواب علم البيان	٣٠
الدلالة	٣٠
الدلالة اللفظية وغير اللفظية	٣١
دلالة المطابقة والتضمن والالتزام	٣٢
الفصل الأول : التشبيه	٣٨ — ١٢٨
التشبيه فى اللغة وفى اصطلاح البلاغيين	٣٩
أركان التشبيه	٤٠
طرفا التشبيه : تقسيمهما إلى حسى وعقلى	٤١
تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه (المشبه والمشبه به) إلى مفرد ومقيد ومركب	٤٨ — ٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
تقسيم التشبيه إلى ملفوف ومفروق وتسوية وجمع	٥٦—٥٨
وجه الشبه	٥٩—١٠٩
١ - تقسيم وجه الشبه إلى تحقيق وتخييل	٥٩— ٦٣
٢ - تقسيم وجه الشبه إلى مفرد ومركب أو متعدد وكل منها إلى حسى وعقلى	٦٤—٨٠
١ - وجه الشبه الواحد	٦٤
٢ - وجه الشبه المركب الحسى	٦٦
بديع المركب الحسى	٧٠
وجه الشبه المركب العقلى	٧٧
٣ - وجه الشبه المتعدد	٧٩
٣ - تقسيم التشبيه إلى تمثيلى وغير تمثيلى	٨١
الضرب الأول	٨١
الضرب الثانى	٨١ - ٩١
المجمل والمفصل	٩٢—٩٤
القريب المبتذل	٩٥—٩٧
تحويل القريب إلى بعيد	٩٦
التشبيه المشروط	٩٧
البعيد الغريب	١٠٠—١٠٩
التفصيل فى التشبيه الغريب البعيد	١٠١
موازنات	١٠٤
التشبيه البليغ	١٠٨—١٠٩
أدوات التشبيه	١٠٩—١١١

الموضوع	رقم الصفحة
تقسيم التشبيه باعتبار أداته	١١٢—١١٥
التشبيه المرسل	١١٢
التشبيه المؤكد	١١٣
أغراض التشبيه	١١٥—١٢١
التشابه	١٢١
التشبيه الضمنى	١٢٣
تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول ومرفوض	١٢٤—١٢٥
انتزاع وجه الشبه من التضاد	١٢٥—١٢٦
مراتب التشبيه	١٢٧
تنبيه	١٣١
الفصل الثانى : المجاز	١٣٢
الحقيقة والمجاز	١٣٢
الحقيقة اللغوية	١٣٣
المجاز اللغوى	١٣٧
تقسيم المجاز المفرد	١٣٩
المجاز المرسل وعلاقاته	١٤٠—١٥٤
الاستعارة	١٥٥
الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى	١٦٣
الفرق بين الاستعارة والكذب	١٦٩
تقسيم الاستعارة إلى تحقيقية وتخييلية ومكنية	١٧٠
قرينة الاستعارة ـ إستعارة علم الشخص	١٧٢—١٧٤
تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين	١٧٥

الموضوع	رقم الصفحة
تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع	١٧٧
التقسيم الأول: داخلية وخارجية	١٧٧ — ١٨١
التقسيم الثانى: عامية وخاصية	١٨١ — ١٨٥
تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع	١٨٥ — ١٨٨
تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار أصلية وتبعية	١٨٨ — ١٩٤
قرينة الاستعارة التبعية	١٩٥ — ١٩٨
تقسيم الاستعاره باعتبار الملائم مجردة ، ومرشحة ، ومطلقة	١٩٨ — ٢٠٣
الاستعارة المكنية والاستعارة التخييلية	٢٠٤ — ٢١٤
قرينة المكنية على مذهب الخطيب	٢٠٨
الاستعارة التخييلية عند الخطيب	٢٠٩
الاستعارة المكنية عند الجمهور	٢١١
الاستعارة بالكناية عند السكاكى	٢١٣
الاستعارة التخييلية عند السكاكى	٢١٣
المجاز المركب اللغوى	٢١٥ — ٢١٨
الاستعارة التمثيلية	٢١٥
المجاز المرسل المركب	٢١٧
حسن الاستعارة	٢١٩ — ٢٢٠
الفصل الثالث : الكناية	٢٢٢ — ٢٣٧

أقسام الكتابة	٢٢٣—٢٢٧
خاتمة	٢٢٨—٢٣٠
فهرس موضوعات الجزء الثالث	٢٣١—٢٣٥

ملحوظة : الفصل الثاني يبدأ من ص ١٣٢ على أن ص ١٣٠ ، ١٣١ من الفصل الأول

رقم الإيداع بدار الكتب
٤٦٦٤ / ١٩٨٢ م